القيم الدينية

وثقافة العولمة

أ . د . الصاوى الصاوى أحمد

العدد (١٢١)

القاهرة

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

ربيع أول ١٤٢٦هـ - أبريل ٢٠٠٥م

يشرف على إصدارها

الدكتور/ **محمود حمدى زقزوق**

وزير الأوقاف

ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الدكتور/ **عبدالصبور مرزوق**

نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وبعد،

فقد هبت على العالم العربى والإسلامى رياح عاتية آتية من الغرب، محملة بكل أنواع المعارف والثقافات الغث منها والسمين، والباطل والحق ، الخير والشر. تحت مسمى النظام العالمى الجديد " العولمة " .

ورغم نجاح هذا النظام فى تشييد حضارة مادية مبهرة فى أوروبا وأمريكا قامت على تكنولوجيا المعلومات والعقل الإلكترونى ، والإنترنت والقنوات الفضائية، وحرية حركة السلع والخدمات والأيدى العاملة ورأس المال والفكر التحررى ، والثقافة البراقة التى عبرت الحدود الوطنية والإقليمية ، كما نجحت فى تذويب الفوارق والقيم الروحية بين الأنظمة العالمية لصالح الأقوى.

فإنها فشلت فى إقامة حضارة روحية أو حتى تطعيمها بالقيم الدينية والأخلاقية والتربوية، بل أدت هذه الحضارة المادية إلى انتشار الفقر والظلم والفساد الأخلاقى والدينى والقيمى ، وساعدت على التفكك الأسرى وزيادة الأمراض النفسية مثل القلق والخوف من المستقبل...إلخ.

ولهذا فإن حضـــارة العولمـــة التـــى تســـتخدمها أمريكـــا وأوروبـــا فى السيطرة والضغط على معظـــم شـــعوب العـــالم الثـــالث، مـــا هـــى إلا حضارة مصطنعة وخالية من أيـــة ثوابـــت ومبـــادئ وقيـــم ؛ لأنـــها قائمة على سياسة بلا مبادئ، وتجارة بلا أخـــلاق، وتعلـــم بـــلا تربيـــة ، وعلم بلا ضمير، وديموقراطية بلا حريـــة ، والبقـــاء عندهـــا للأقـــوى ، وعلى الضعيف الموت أو الانزواء فى أزقـــة التـــاريخ .

وإذا كانت هـــذه خصـــائص ومبـــادئ وأســـس أنظمـــة العولمـــة ، والتى يريد أصحابها فرضها بالقوة وتطبيقـــها كـــل مقوماتـــها الثقافيـــة والاقتصادية والسياسية والعسكرية علـــى العـــالم أجمـــع ، متجـــاهلين أن لكل أمة خصوصيتها وثقافتها وقيمـــها وهويتـــها، ومبادئـــها . وتقاليدهـــا الاجتماعية والأخلاقية التى تتناسب مـــع ظروفـــها وبيئتـــها . فمـــا هـــو موقف سكان العالم الثالث ؟ هل يتقبل هـــذه الأنظمـــة والمبـــادئ والقيـــم والثقافات التى تتعارض فى معظمها – إن لم يكـــن فـــي جملتـــها مـــع قيمه ومبادئه وثقافتة ودينه ؟ أم يرفضـــها ؟ أم يـــأخذ منـــها مـــا يـــروق له ويتناسب مع ظروفـــه؟ أم أن عليـــه معرفـــة حقيقـــة هـــذه الثقافـــات وما تدعـــو إليـــه ، ثـــم يتســـلح بالســـلاح المناســـب لخـــوض معركـــة الاستفادة . هذا ما سوف تناقشه هذه الدراسة مـــن خـــلال الكشـــف عـــن حقيقة وأسس ومبادئ ثقافـــة العولمـــة التـــى اقتحمـــت عقـــل ووجـــدان معظم البشـــرية دون إذن .

وكان الداعى لهذه الدراسة إقبال كثير من ســـكان العـــالم الثـــالث ، على ثقافة العولمة بدون وعـــى ولا دراســـة ولا تحليـــل قيمـــه الدينيـــة

التى نشأ عليها ، ولا حقيقة ما تهدف إليه هـــذه الأنظمـــة العالميـــة مـــن مخـــاطر علـــى قيمنـــا الدينيـــة وثقافتنـــا المحليـــة الأصيلـــة، وأيضـــا ما تمارسه هذه القوى من هيمنة وســـيطرة ثقافيـــة ودينيـــة واقتصاديـــة وسياسية وعسكرية على دول العالم الثـــالث ممـــا جعـــل مواطنـــى هـــذا العالم يقفون مكتوفى الأيدى لا حول لـــهم ولا قـــوة إلا الخضـــوع لكـــل ما تمليه عليهم أنظمة العولمة. متخليـــاً عـــن قيمـــه الدينيـــة التـــى هـــى عماد كل حضارة أصيلة . وأكبر دليل علـــى ذلـــك ممارســـة الأنظمـــة المؤمنة بالعولمة والهيمنة والسيطرة علـــى كـــل مـــن العـــراق وإيـــران وسوريا وليبيـــا والبقيـــة تـــأتى ..

وقـــد قســـمت الدراســـة إلـــى مقدمـــة وخمســـة فصـــول وخاتمـــة وتناولت فيـــها :-

المقدمة .

الفصـــل الأول : مفـــهوم القيـــم – وطبيعتـــها – ومصادرهـــــا– وأهميتـــها

الفصل الثاني : أنواع القيـــم.

الفصـــل الثـــالث : مفـــهوم العولمـــة وتـــاريخ نشـــأتها وعوامـــل ظـــهورها.

الفصل الرابع : العولمة وعلاقتها بـــالقيم الدينيـــة.

الفصل الخامس : تجليات العولمة الثقافيـــة. ومواجهـــة مخاطرها .

الخاتمـــة .



الفصل الأول

القيم: مفهومها وطبيعتها ومصادرها وأهميتها

أولاً: مفهوم القيم :

١ - القيم لغة :

تعنى القيمة لغة: الاستقامة والاعتدال والاستواء . كما جاء فى القاموس المحيط: القيمة بالكسر واحدة القيم، وماله قيمة إذا لم يدم على شىء ، وقومت السلعة ، واستقام اعتدل، وقومته عدلته، فهو قويم ومستقيم[١]. وقيمة الشىء قدره، وقيمة المتاع ثمنه.[٢]

وذهب الراغب الأصفهانى[٣] إلى شرح "دينا قيما " أى ثابتا مقوما لأمور معاشهم ومعادهم ، كما جاء فى قوله

---

(١) مجد الدين الفيروز أبادى : القاموس المحيط، ط١٩٢٣، ج٤، فصل القاف، باب الميم، ص٣٧٨٢، وانظر أيضاً لسان العرب لابن منظور، دار المعارف، مادة قوم،ج٥.

(٢) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية: باب القاف، القاهرة، ١٩٦٠، ص٧٧٤ .

(٣) الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن، بيروت، دار المعرفة، ب. ت ص٤١٧ .

تعالى:﴿ **ذلك الدين القيم** ﴾ [1] وفسر الرازى[2] قوله تعالى: ﴿**وذلك دين القيمة ..**﴾.[3] أى دين الأمة القيمة بالحق والمستقيمة التى لا زيغ فيها ولا ميل عن الحق.

وفى اللغات الغربية تشتق كلمة " القيمة " " valuer " من الفعل اللاتينى "valeo " ومعناها فى الأصل " أنا قوى " أو " إننى بصحة جيدة " أى إنه يشتمل على معنى المقاومة والصلابة وعدم الخضوع للتأثيرات . والقدرة على ترك بصمات قوية عليها، وهذا التعريف يتفق مع الرأى القائل بأن القيم الفلسفية وإن كانت تقويمات بشرية إلا أن وجودها يجعلها مستقلة عن عالم الأشياء.[4]

والقيمة عند " **لا لند** " سنة من سنن العقل. ومن القيم ما يرتفع بالإنسان ومنها ما يهدف إلى تغيير الواقع ، وهو يسمى الأولى قيم الارتفاع ، والثانية قيم التحقق فى الواقع.[5] من الواضح بعد هذا العرض السريع ... لمعنى القيمة لغة أن معنى القيم فى جميع

---

(١) الروم: آية رقم (٣٠) .

(٢) فخر الدين الرازى : التفسير الكبير ، بيروت، دار إحياء التراث العربى، ب . ت ٣ : ٤٢ .

(٣) البينة : ٥ .

(٤) د. يحى هويدى: مقدمة فى الفلسفة العامة، دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٧٩ ، ص٣٣٣ .

(٥) د. سهير فضل الله أبو وافية: القيم الإنسانية، ١٩٩٦ ، ص٢٤ .

اللغات متقارب وهدفها واحد والتى من شــأنها الارتفــاع بالإنســان إلــى العلا عن طريــق الاســتقامة والاعتــدال الــذى تحققــه القيــم . وهــذا ما يهدف إليه المعنى الاصطلاحـــى .

٢- القيم اصطلاحا

إذا كان قد حدث الاتفاق على معنى القيمة لغـــة فإنـــه قــد اختلــف حولها معنى ، ويرجع الاتفاق إلـــى أن المجتمــع اتفــق لغــة علــى أن القيم تعنى القوة والاعتدال والاستقامة . ويرجـــع الاختــلاف اصطلاحًــا إلى نظرة الإنسان إلى هذه القوة والاســتقامة وهــذا الاعتــدال ، فــهناك من عرفها بأنها: " معايير ومقاييس الفعل البشـــرى ومحـــددات الســلوك وضابط أهداف النشاط الانســـانى، ومســيرة البشــرية فــى المجــالات جميعاً ..." [١] ونظـــرا لأنـــها معـــايير ومقـــاييس مـــن شـــأنها ضبـــط موازين العدالة والمساواة بين البشر. فلا يجـــب تـــرك أمرهـــا للأهـــواء البشرية، حتى لا تكون محلا للعبث والتلاعب والانتقـــاص، فـــلا يمكـــن أن يكون الإنسان نفسه محل الفعل والتقييم والمعـــايرة، وأن يكـــون هـــو أيضا المعيار والمقياس فـــى الوقـــت نفســـه، ولا يمكـــن أن يتصـــور أن يصبح الإنســـان هـــو الـــذى يجـــرى علـــى فعلـــه الخطـــأ والصـــواب أو المقياس والمعيار، وإلا فتح الباب للأهواء والرغبـــات الذاتيـــة ومـــن ثم للفساد والاستغلال ، وفتـــح المجـــال لتســـلط الإنســـان علـــى أخيـــه

---

(١) د. عمر عبيد حسنة: مقدمة كتاب " ظاهرة العولمة رؤية نقدية "، د: بركـــات محمـــد مراد " كتاب الأمة " . قطر العدد ٨٦ عام ٢٠٠١، ص١١- ١٣ .

الإنسان وانعدام العدالة والمساواة . بسبب فقدان الميزان والمقياس والمعيار الإلهى الذى هو أساس القيم . والذى فى غيابه يتحول النسبى إلى مطلق والبشرى إلى إلهى والظنى إلى قطعى ، حيث يغيب نص الشارع ويحكم فهم الشارح وتلتبس قيم الدين بصور التدين ويتحول الدين إلى جسر للتسلط .

وعلى نفس المعنى ذهب د . محمود أبو الفيض الذى عرفها بأنها " حقائق كلية عينية ماثلة فى الوجود وفى وجداننا التى نلتزم بتقديرها لذاتها وليس لسبب آخر، ففى الطبيعة حق مطلق مصدره صفة أو مجموعة صفات ، السبب الأول: المبدع للوجود " الله " واسم الحق مطلقا معيار عام نقيس به جميع الحقوق والقيم ".[1]

ومن معانيها أنها صفة يخلعها المرء على الأشياء خلعًا ويفرضها عليها فرضًا، ومن أجل ذالك كانت متغيرة بحسب الفرد نفسه حين كان صبيًا وشابًا، ورجلاً وشيخًا، وبحسب الناس فى أوقات مختلفة، والقيمة هنا تقتضى الاختيار ويفضى الاختيار إلى الإيثار ويقوم الإيثار على الترجيح والتفضيل ، لأنه يضع الأشياء فى مراتب ودرجات بعضها أعلي من بعض وبعضها أرفع من بعض .[2]

---

(١) د. محمود أبو الفيض المنوفى الحسينى: تهافت الفلسفة عن إدراك الحقيقة المطلقة دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٠ ، ص ٣٨٧ .

(٢) د. أحمد فؤاد الاهوانى : القيم الروحية في الإسلام، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية عدد ٢١ سبتمبر ١٩٦٢، ص٤٦ – ٤٧ .

ويعرفها " فيليب وينر "(١) بأنـــها : " الرغبـــات والحاجـــات التـــى يشعر بها الإنسان، و تكـــون خـــيراً إن أشـــبعت وتكـــون شـــراً إن لـــم يدركها الإشباع. والقيم ثرة بالحاجـــات البيولوجيـــة والمطـــالب النفســـية التى تقابلها أوضاع وأصول ماديـــة واجتماعيـــة.

أما أحكام القيمة فـــهى الأفكـــار التـــى تـــدور حـــول القيـــم ." (٢) والقيم بـــهذا المفـــهوم متعـــددة حســـب رغبـــات وحاجـــات ومصلحـــة الإنسان وبالتالى فهى ذاتية تعبر عن المصلحـــة والمنفعـــة ويؤكـــد نفـــس التعريف بيرى ١٩٥٧.(٣) فهى عنـــده : " موضـــوع أى مصلحـــة مـــن المصـــالح . " (٤)

ومن أشكال التعريفات والمفـــاهيم للقيـــم المفـــهوم الـــذى يعرفـــها على أساس الموقف الســـيكولوجى ، والـــذى يـــرد فيـــه القيمـــة إلـــى محتـــوى الوعـــى أو الوجـــدان النفســـى بمـــا يضطـــرب بـــه مـــــن رغبات ومشاعر، فليس ثمة قيمة إلا ما كـــان يرضـــى رغبـــة أو يثـــير انفعالات أو يجســـد دافعًـــا ، وبذلـــك لا تكـــون القيمـــة صفـــة خاصـــة بالموضوعات بل نسبية تلحق بـــأنواع الـــذوات .(٥)

---

(١) أستاذ الفلسفة بكلية المدينة بنيويورك .

(٢) د. صلاح قنصوة: نظرية القيم فى الفكر المعاصر، دار الكلمة، ٢٠٠٢، ص١٩٣ .

(٣) الذي شغل منصب كرسى الفلسفة بجامعة هارفارد .

(٤) د. صلاح قنصوة: نظرية القيم، ص ٦٧.

(٥) م. السابق ، ص٧١ .

بهذا فإن مفـــهوم القيمـــة أخـــذ العديـــد مـــن الصـــور والأشـــكال والتعريفات والمفاهيم حســـب نظـــرة صاحبـــها إليـــها ، فنظـــرة رجـــل الدين تختلف عن نظرة رجل الفكر، عن نظـــرة رجـــل السياســـة ، عـــن نظرة رجل الاقتصاد أو العالم .. الـــخ .

ومن هنا فالاتفاق على تعريف جامع مانع للقيـــم صعـــب المنـــال . وان اتفق على أنها مقياس أو معيار نحكم بمقتضاه ونقيـــس بـــه ونحـــدد على أساسه المرغوب فيه والمرغوب عنه ، سواء كـــان هـــذا المقيـــاس هو الإنسان أو المجتمـــع أو الله .(١)

ثانياً: طبيعة القيـــم

يرجع الخلاف حول طبيعـــة القيـــم إلـــى الخـــلاف حـــول تحديـــد تعريف جامع مانع لها ، ويتمثل الخلاف حـــول طبيعـــة القيـــم فيمـــا إذا كانت القيم موضوعية أم ذاتية . أى هل هى مطلقـــة أم نســـبية ؟ وهـــل قيمتها كامنة فى ذاتها أم مستمدة مـــن الله أو الإنســـان أو مـــن الطبيعـــة التى تضفى عليها هذه القيمـــة ؟ وهـــل الأمانـــة أو الصـــدق أو الوفـــاء بالوعد ... إلخ ألوان من الســـلوك الخـــير والخيريـــة كامنـــة فـــى هـــذا السلوك باســـتمرار ؟ أم أن الســـلوك الأميـــن يخلـــو مـــن أى خيريـــة ،

---

(١) محمد إبراهيم كاظم: التطور القيمى وتنمية المجتمعات الدينية ، المجلـــة الاجتماعيـــة القومية ، منشورات المركز القومى للبحـــوث الاجتماعيـــة ، القـــاهرة ، ١٩٩٧ ، ص١١ وانظر أيضاً: كثير من التعريفات لـــ د. علي خليل مصطفى أبو العينين ، القيم الإســـلامية والتربية ، ١٩٨٨ ، مكتبة إبراهيم حلبى ص٢٢ – ٢٨ .

والناس يضفون عليه هذه الصفة أو هذه القيمـــة ؟ وعلـــى ضـــوء هـــذا الاختلاف انقسم الفلاسفة والمفكرون إلى فـــرق ومذاهـــب علـــى النحـــو التالى :

الفريق الأول : أصحاب هـــذا الفريـــق مـــن الفلاســـفة المـــاديين والتجريبيين والوضعيين [1] والذين انقسموا فيمـــا بينـــهم إلـــى قســـمين هما :

١- يـــرى أصحـــاب القســـم الأول أن القيـــم امتـــداد للحاجـــات الفسيولوجية للإنسان ، فالحاجة هى أساس الكـــائن الحـــى بافتقـــاد شـــئ ما وقد تكون داخلية أو خارجية ، وإشباع هذه الحاجة هـــو الـــذى يقـــدر قيمتها ، ويرى بعض العلماء أمثال "ماســـلو" أن مفـــهوم القيمـــة مكـــافئ لمفهوم الحاجة ، كما يصـــور بعضـــهم الآخـــر القيمـــة علـــى أن لـــها أساسًا بيولوجيًـــا .[2]

٢- يرى أصحاب هذا القسم أن طبيعة القيـــم مـــا هـــى إلا امتـــداد لرغبات نفسية واجتماعية ، فعلماء النفـــس يركـــزون علـــى أن القيمـــة ترتكز فى سلوك الفرد ، وهى التى تشبع رغباتـــه النفســـية .

أما علماء الاجتماع فيهتمون بالقيم الجماعية، والقيمة هى التى تشـــبع رغبات المجتمع . ويتفق أصحاب القسمين على أن القيم نســـبية وليســـت مطلقة ، وبالتالى تختلف من فرد لآخر حسب تلبية حاجة الفرد الفسيولوجية

---

(١) د. توفيق الطويل: أسس الفلسفة، دار النهضة العربية ، ١٩٧٩ ، ص٣٩١ -٣٩٢ .

(٢) د. عبد اللطيف محمد خليفة: ارتقاء القيم ، عالم المعرفة ، الكويـــت ، عـــدد ١٦٠ ، أبريل ١٩٩٢ ، ص٤١ .

أو النفسية أو الاجتماعية . فالطعام والشراب والملبس والمأوى وغير ذلــك لها قيمة ؛ لأنها تشبع فى المرء حاجات فسيولوجية مادية فإذا لــم يحققــها أفضت إلى الضرر به ، فالطعام يشبع نداء الجوع ، والشراب يروى ظمأ البدن ، والملبس يحقق الدفء ، والمرأة عند الرجل تلبــى نــداء الجنــس ومازال الفلاسفة الماديون يزعمون أن الاقتصاديات والماديات أساس الحياة الاجتماعية ، وهى مصدر سائر القيم الروحية ، فزعموا أنها نابعــة مــن المادية وهذا بدوره مجرد امتداد للحاجات البيولوجية والمادية ، والمتمســك بهذه القيم المادية لا فرق بينه وبين الحيوان .

وذهب أيضا علماء النفس إلى أن طبيعــة القيــم امتــداد لرغبــات الإنسان النفسية ، أو اتجاهات المجتمع، ففــى الإنســان عندهــم نزعــة طبيعية إلــى الســيطرة ولذلــك كــانت الســلطة والزعامــة والرياســة والقيادة من القيم التى يرفع معظم الناس مــن شــأنها ويفضلونــها علــى كل قيمة أخــرى .

وذهب علماء الاجتماع إلى أن طبيعة القيــم نابعــة مــن الجماعــة، كالتمسك بالشرف والمحافظة علــى التقــاليد والآداب الاجتماعيــة .(١)

الفريق الثانى : فريق الحدســيين والمثــاليين والعقليين ، وذهــب أصحاب هذا الفريق إلى أن القيــم موضوعيــة ، أى إنــها كامنــة فــى طبيعة الأشياء ذاتها ، فالقيمة عندهــم لا تختلــف مــن فريــق لآخــر ، ومن عصر لعصر ، ومن مكان إلى مكان ، لكــن الــذى يختلــف هــم

---

(١) د. أحمد فؤاد الأهوانى: القيم الروحية ، ص٥٤ – ٥٦

الأفراد أو الجماعات فى نظرتهم للقيم ، كل حسب نظرته وثقافته وفكره ومعرفته بطبيعة القيمة .

ويمثل هذا المذهب الفلاسفة المثاليون والعقليون ومنهم أيضا المعتزلة الذين عبروا عن رأيهم في طبيعة القيم بأنها مطلقة وليست نسبية ، وأنها مبادئ عامة لا يحدها زمان ولا مكان وهى ثابتة لا تتغير بتغير الظروف والأحوال .[1]

ويفسر أصحاب هذا الرأى القيم حسب سمو الإنسان على نفسه ، ولا يمكن أن يسمو الإنسان على نفسه ، إلا إذا كانت القيمة التى يسعى إليها ويرتفع من أجلها روحية ، ولا يمكن أن يكون التسامى أو التعالى لمصلحة ذاتية . ولا تستحق هذه القيمة إلا أن يعلو عليها الإنسان بالتنظيم أو يسمو عليها بالعفة ، أو يرتفع عليها بالتزكية والطهارة ، والصبر والجهاد وضبط الشهوات [2] ويستدل " ولترستيس " فى كتابه الدين والعقل الحديث على موضوعية القيم بعدة أدلة منها :

١- إنه لو كانت قيمة الشئ ذاتية لكان معنى ذلك أن الحكم بأن شيئا ما له قيمة أو ليس له قيمة ترجع إلى الذوق لا أكثر ولا أقل .

٢- تتضمن الذاتية القول بأن أى حكم يرجع إلى الذوق فقط .

---

(١) د. إمام عبد الفتاح : فلسفة الأخلاق ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٨٥ ، ص٥٢ - ٥٤ .

(٢) د. أحمد فؤاد الأهوانى : القيم الروحية فى الإسلام ، ص٥٦ - ٥٨

٣- لو سلمنا بصحة النزعة الذاتية لاستحال القيام بأية مناقشة عقلية بصدد القيم .

وينتهى " ستيس " إلى أن الموضوعات مثل: استحسان الرق ، وكراهية قتل الأطفال ، ووأد البنات أحياء ... إلخ لا هى مسألة ذوق فردى ، ولا هى تتوقف على رأى الجماعة ، وينتهى إلى أن القيم الأخلاقية لابد أن تكون موضوعية ترتبط بالفرضية الكونية التى يفترض فيها الاستقلال عن أفكار البشر ورغباتهم ، وإذا كان اللاهوت الدينى قد ذهب إلى أن تتمثل إرادة الله . فقد طور المثاليون الألمان الفكرة فى بداية القرن التاسع عشر إلى تصور المطلق ، وهو العقل الكلى الشامل مصدراً للقيم . والقول بأن العالم نظام أخلاقى ، أى أن القيم الأخلاقية موضوعية ليست متضمنة فحسب فى فكر العصور الوسطى وإنما هى نظرة يعتنقها كل إنسان . فالبسطاء من الناس يؤمنون بأن الخير لابد أن ينتصر فى النهاية وأن للحقيقة قوة داخلية تمكنها من الفوز على الباطل ويستند مثل هذا الاعتقاد على شعور غامض بان للعالم نظاما أخلاقيا .[١]

الفريق الثالث : ذهب هذا الفريق إلى رفض الرأيين السابقين منفصلين ، واعتبروا أصحابه متطرفين ، ورأوا أن القيم موضوعية وذاتية ، موضوعية بالنسبة لاحتفاظها بخصائصها الطبيعية ولكن

---

(١) ولترستيس : الدين والعقل الحديث ، ترجمة د.إمام عبد الفتاح إمام ، مكتبة مدبولى ١٩٩٨ ، ص١٢ - ١٣ .

نظـرة الإنسـان لـها تختلـف ؛ إذ لابـد أن تختلـف قيمتـها بالنسـبة للأشخاص ، فنحن نختـار سـلوكا معينـا يتصـف بصفـات خاصـة ونصفه بالأمانة أو الصدق ، أو الوفاء بـالوعد لكـن هـذه الخصـائص ذاتها التى تتحكم فى عملية الاختيار(1) وهى ذاتيـة مـن حيـث نظـرة الإنسان الفردية لها ، فهو يرى أن هذا الفعـل أو ذاك يمثـل لـه خـيرا أو شرًا ، فإذا كان خيرا أصبـح بالنسـبة لـه قيمـة ، وإذا كـان شـرا أصبح غير ذى قيمـة .

<u>ثالثًا</u>: مصادر القيـم :

أثارت قضية مصدرية القيم الكثير من أوجـه الجـدل والخـلاف ، ويتمثل الخلاف بين الفلاسفة وعلماء الدين حـول مـا إذا كـان الإنسـان هو مصدر القيم ؟ أم الطبيعـة ؟ أم الله ؟ أم أن هنـاك مصـدرا آخـر لها ؟ وقد أدى هذا الخلاف والجدل إلى وجود ثـلاث فـرق يـرى كـل فريق منها مصدراً مختلفًا عن الآخر للقيم علـى النحـو التـالى :

المصـدر الأول : ذهـب الفلاسـفة الوجوديـون والوضعيـون والماديون وبعض العقليين أيضا إلى أن مصـدر القيـم هـو الإنسـان ، ونفى هؤلاء أن يكون " الله " مصدرا للقيم ، بـل ظنـوا أن الميتافيزيقـا أو ما وراء الواقع شيء متنافر مع البحـث العلمـى التقريـرى . ومـن أوائـل مـن أرجعـوا القيـم إلـى الإنسـان الفيلسـوف اليونـانى "

---

(1) محمد العفيفي: فلسفة القيم فى القرآن : مجلة منبر الإسـلام ، العـدد ٢ السـنة ٣٢ صفر ١٣٩٤هـ ، فبراير ١٩٧٤م ، ص١٥٢ .

بروتاجوراس " الذى عبر عن ذلك فى قولـــه : " الإنســان مقيــاس كــل شيء " [1] وتابعه بعد ذلك كثـــير مــن الفلاسـفة مــن أمثـال فولتــير وهيوم وهتشسون فى القرن الثـامن عشـر الميـلادى . فقـد أرجعـوا مصدر القيم إلى الإنســان ، وان اختلفـوا فيمـا بينـهم فـى مصدرهـا الإنسانى : هل هى حــواس الإنســان أم عقلــه ؟ أم القلـب والوجـدان الإنسانى ؟ أم الغريزة الإنســانية ؟

فيرى فولتير أن لدى الإنسان غريــزة طبيعيــة تشـعرنا بـالعدل . وأن هناك ذوقا غريزيا داخل نفوســنا هــو الــذى يشـعرنا بالجمــال . وهتشسون يعتقد أن لدينا حاسة طبيعية تقودنا إلى القيــم . وهيـوم ينقـد كل محاولة لإرجاع القيم إلى أسس عقليــة أو دينيــة ثابتــة ، ويــرى أن ما نشعر به مـــن ســرور أو نفــور ليـس مجـرد حــالات مصاحبـة لإدراكنا للجمال أو القبح ، بل يمثل ماهية هذا الجمــال وذلـك القبـح .

أما أصحاب مذهب البرجماتية فقد ذهبوا إلـــي أن مصــدر القيــم ، هو شعور الإنسان بالمصلحة أو النفع الذى ســيحققه لــه السـلوك فــى المســتقبل ، أمــا ميــدان أو مجــال هــذه المصلحــة فــهو مــترامى الأطراف . يبدأ من الشعور بالمصلحـــة العضويــة .

كمــا نجـد ذلـك عنـد " بـارتوف بـرى " **R .B Perry** " [2] و"جون ديوى" زعيم المذهب البرجماتى " والـــذى صــاغ نظريتــه فــى

---

(١) د. أميرة حلمي مطر: مقالات حول القيم والأخلاق ، مكتبة مدبولي ب.ت ص٥٨ .

(٢) د. يحيى هويدى : مقدمة في الفلسفة العامة ، دار الثقافة للنشر والطباعــة ، ١٩٧٩ ، ص٣٤ .

القيـم علـى النحـو التـالى : أحكـام القيمـة أحكـام عـن شـروط وموضوعات الخبرة ونتائجها ، وهـى أحكـام عمـا ينبغـى أن ينظـم تكوين رغباتنا وعواطفنـا وملذاتنـا. ولـهذا يعـرف " جـون ديـوى " القيمة بأنها " كل ما له سلطة فى توجيـه السـلوك " (١)

وقد صاغ " شـيللر " (١٩٣٧) مذهبـه فـى القيـم علـى أسـاس موقفـة البرجمـاتى بأنـها: " اتجـاه شـخصى يقـوم علـى الإقبـال أو الإعراض إزاء موضوع للاهتمـام أو المصلحـة " (٢) .

ويسير علـى منـوال المذهـب البرجمـاتى أصحـاب النظريـات الماديـة والحسـية ، فقـد ذهـب أصحـاب مذهـب اللـذة القدامـى ، والمحدثون إلى إحالة القيمة إلى اللذة ، ونظروا إلى اللـذة نظـرة كميـة خالصة باعتبارها شيئا من الأشياء أو واقعـة مـن الوقـائع ، نسـتطيع أن نجرى عليها المقـاييس المختلفـة . وقـد أقـر " بنتـام " صـاحب مذهب المنفعة نفس هذه النظرة فذهب إلي أن أكـبر قـدر مـن السـعادة أو الخير هو فى حقيقة الأمر مساو لأكبر قـدر مـن السـرور. وذهـب " هوبز " إلي أن الخير هو اللـذة أو السـرور، وزعـم " فرويـد " إلـى أن جميع القيم الدينيـة الأخلاقيـة والسياسـية والجماليـة لا قـوام لـها بذاتها بل هى مجرد صورة من صور" الليبيـدو" أى القـوة الحسـية .(٣)

---

(١) جون ديوى: نظرية البحث عن اليقين ، ترجمة د. أحمد فؤاد الأهوانـي ، القـاهرة عيسى البابى الحلبى ، ١٩٧٠، ص٢٨٤ .

(٢) د. صلاح قنصوة: نظرية القيم ، ص١٣٤ .

(٣) د. يحيى هويدى: مقدمة في الفلسفة العامة ، ص٣٣٦ – ٣٣٧ .

أما الفيلسوف الألمانى " نيتشـــة " (١٩٦٠) فمصـــدر القيـــم عنـــده هو إرادة القـــوة الإنســـانية "wiccto power" " فالإنســـان هـــو الـــذى يخلع القيمة علـــى الأشـــياء ويضفـــى عليـــها المعنـــى وهـــو المقـــوم . ورفض نيتشة الإيمان بأن الله هـــو مصـــدر القيـــم ، لأن الأيمـــان بـــالله يكشف عن تكاسلنا وضعفنا وخوفنا مـــن الحيـــاة ، ولـــهذا يجـــب علينـــا أن نؤمن بحياة الإنسان القوية فهى القيمة الكـــبرى ، أمـــا الله فقـــد مـــات ونحن الذين قتلنـــاه .[١]

ويبدو أن نيتشة قد أخـــذ مذهبـــه هـــذا مـــن السوفســـطائيين الذيـــن رأوا أن العدل منفعة الأقوى كما قـــال " ترازيمـــاخوس " وكمـــا قـــال " بولوص " تلميذ جورجياس : " بـــأن الظلـــم التـــام والطغيـــان الظـــاهر هو السعادة العليا. " [٢] وكمـــا قـــال بعـــض السوفســـطائيين فى الظلـــم والعدل : " الناس كالآلهة يبغون السيطرة فإذا تســـاوت الضـــرورة بيـــن الطرفين انتظموا علـــى العـــدل ، وإذا اختلـــف شـــطح الأقويـــاء إلـــى أقصى حدود قوتهم وليس علـــى الضعفـــاء إلا الخضـــوع ...." [٣].

---

(١) د. صلاح قنصوه: نظرية القيمة ، ص١٥٨ وأيضاً : د. ذكريـــا إبراهيـــم ، مشـــكلة الإنسان ، القاهرة ، مكتبة مصر ١٩٥٩ ، ص٢٤٩ – ٢٥٠ .

(٢) أوجست دبيس: أفلاطون، تعريب محمد إسماعيل، دار الكتب الحديثة ب.ت ص٢٤ .

(٣) م. السابق ، ص٢٥ .

ومن هنا فقد أقام نيتشة مذهبه فى القيـــم علـــى الأثـــرة والأنانيـــة ، والأخلاق عنده هي أخـــلاق القـــوة الإنســـانية . [1] واعتـــبر " ســـارتر " القلق مصدر القيم ، لأن بالقلق تتجلى الحرية وتتمـــيز بـــالتزام التجـــدد. والمادة صنع الأنا الذي يعنيه الكـــائن الحـــر .[2]

وزعـــم " دور كـــايم " (١٩١٧) أن المجتمـــع مصـــــدر القيـــم ، ومصدر الالـــتزام الأخلاقـــى ، وهـــذا شـــأن الفلســـفة الوضعيـــة التـــي تتصور قيام القيم علـــي افـــتراض أن الفـــرد لا دور لـــه ولا أهميـــة ، والمجتمع هو كل شيء فهو وحده الـــذي يجـــدر بـــالدرس والبحـــث [3] كما ذهب " دور كايم " إلي أن الديـــن هـــو الآخـــر مؤسســـة اجتماعيـــة مستقلة بذاتها ؛ أى ضرورة أساســـية مـــن ضروريـــات بنـــاء المجتمـــع وتماسكه.[4] أما مصدر القيم عند الماركســـيين فقـــد أرجعـــوه إلى قـــوى الإنتاج ، فالقيم عندهم مجرد انعكاس لأســـلوب الإنتـــاج الـــذى يتشـــعب إلى قوى إنتاج وعلاقات إنتاج ، والقوي الإنتاجية هـــي الأكـــثر ثوريـــة والأقرب تغيرا من علاقات الإنتـــاج .

---

(١) د. محمود أبو الفيض المنوفى الحسينى : تـــهافت الفلســـفة عـــن إدراك الحقيقـــة ، ص٢٧٣.

(٢) د. صلاح قنصوة: نظرية القيم ، ص١٥٨ – ١٦٩ .

(٣) م. السابق ، ص١٨٥ – ١٨٧ .

(٤) د. نبيل على: الثقافة العربية وعصر العولمة ، عالم المعرفـــة ، الكويـــت ، ينـــاير ، ٢٠٠١ ، ص٤٢٣ .

ومن هنا فقد رفـض معظـم مفكـري وفلاسـفة وحكـام الغـرب المعاصر – وعلى الأخص ــ فى ظل نظـام العولمـة أى قيـم دينيـة ، ورأوا أنه لابد أن تلتزم القيم بالديموقراطية الغربيـة والأسـواق الحـرة والحكومة المحددة، وحقوق الإنسان وحكم القانون بـدلا مـن حكـم الله، وأنها لابد أن تجسد القيم فـي مؤسسـتها .[1]

المصـدر الثـانى :– ذهـب أصحـاب هـذا الفريـق إلى أن الله أو الدين مصدر كل القيم ومن أوائل من نـادوا بـهذا أفلاطـون الـذى قال : " إن الله مقياس كـل شـيء أى إنـه الخـير المطلـق والوجـود المطلق وهو القيمة العليا التـي تسـتمد منـها سـائر الكائنـات قيمـها بحسب قربـها أو ابتعادهـا عنـها .. "[2] وقـال أفلاطـون هـذا ردا علـى " بروتاجوراس " الذى قال: " الإنسـان مقيـاس كـل شـيء " . كما ذهب أفلاطون أيضاً إلى أن فـى الخـير أو القيمـة تقويمـاً لعـالم المثل ومبدأ بناء العالم الذي ينظم كل الصـور والقوانيـن ، وهـو فـى ذلك يضع القيمة فوق الوجود الحسـى ، فـهي المبـدأ الأسـمى للقيـم، والله عنده الخير الأقصى .[3] وذهب القديـس " تومـا الإكوينـي " إلـى

---

(١) صامويل هنتنجتون: صدام الحضارات ، ترجمة: طلعت الشايب ، تقديـم د. صـلاح قنصوة مكتبة سطور ١٩٩٨ ، ص٢٩٤ .

(٢) د. أميرة حلمى مطر: مقالات حول القيم والأخلاق ، ص٥٨ .

(٣) د. صلاح قنصوة: نظرية القيم ، ص١٩ .

أن الله مصدر القيم ، من خـــلال توحيــده بيــن القيمـــة العليـــا والعلـــة الأولى أى " الله " بوصفه كائناً حيـــاً أزليـــاً .[١]

كما ذهب كل فلاسفة الإسلام من أمثـــال الكنـــدى والفـــارابى وابـــن سينا وابن رشد وغيرهم إلي أن الله سبحانه وتعالى مصـــــدر لكـــل القيـــم الأخلاقية والجمالية ، ورفضوا أن تكـــون رغبـــات الإنســـان ومشـــاعره هي مصدر القيم ، كما رفض ذلك " ولـــتر ســـتيس " وإن كـــان يـــرى أن مصـــــدر القيـــم شـــئ خـــارج الذهـــن البشـــرى ، أى لا إن الفعـــــل الأخلاقى فعل موضوعى لا ذاتـــــى يعتمـــد علـــي إرادة الله كمـــا ذهـــب إلى أن مرجعية القيم ليست متمثلة فى الديانـــــة المســـيحية فقـــط ، بـــل من الممكن التماسها فى الديانتين الهندوســـية والبوذيـــة أيضـــا.[٢]

كما احتلت القيمـــة عنـــد " ريتشـــل " **Ritschl** ١٨٨٩ " مركـــز الصدارة فى مسائل الدين و اللاهـــــوت. وتتمـــيز موضوعـــات الإيمـــان عنده من حيث هــــي أحكـــام قيميـــة **value judgments** عـــن الأحكام النظرية [٣] ويوجد الكثير من علمـــــاء وفلاســـفة الغـــرب ممـــن ذهبوا إلى أن الله مصدر القيم ، وقـــــادوا الدعـــوة إلـــى التمســـك بـــالقيم الدينية من أمثال : الشاعر والفيلســـوف الفرنســـى : " فيكتـــور هوجـــو " (١٨٠٢-١٨٨٥) الذى قال " يجب أن يكون التعليم مبْنيـــــاً علـــى الديـــن

---

(١) د. توفيق الطويل: أسس الفلسفة ، النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص٣٠٣ .

(٢) ولترستيس : الدين والعقـــل الحديـــث ، ترجمـــة ، د. إمـــام عبـــد الفتـــاح إمـــام ، ص١٢ ، ١٣ .

(٣) د. صلاح قنصوة: نظرية القيم ، ص٢١ .

ليتخرج المتعلم رجلا صالحا "[1] وذهب " إرنست رينان " في كتابه " تاريخ الأديان " إلى أن : " من الممكن أن يضمحل ويتلاشى كل شيء تحبه لكل شيء نعده من ملاذ الحياة ونعيمها ، كما أنه من الممكن أن تبطل حرية استعمال القوة العقلية والصناعية ، ولكن يستحيل أن يضمحل التدين أو يتلاشى ، بل سيبقى أبد الآبدين حجة قاطعة ضد عقيدة المادى الذى يتقهقر" [2] ويؤكد " فيكتور لوزان " على مصدرية الدين للقيم بقوله : " إن الشعوب والملل أحوج إلي المبادئ الدينية منها إلى القوانين المدنية "[3] التى تضع قواعد التعامل مع البشرية .

وقد اهتدى كثير من الغربيين إلي ضرورة الدين كمصدر لكل القيم، ويدل علي ذلك ما ذكره الكاتب " موسى صبرى " عن حكاية بنت ستالين التى نشأت فى بيت لا يعرف " الله " ، وبعد أن كبرت ونمت ونضجت عرفت أن الحياة صعبة قاسية بغير الإيمان بالله الذى هو مصدر كل سعادة والبعد عنه مصدر كل ألم وشقاء [4] ويؤكد " تولستوى " الفيلسوف الروسى أن مصدر القيم هو الدين فى

---

(١) أبو نصر مبشر الطرازى الحسيني: الأخلاق فى الإسلام ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٨٧ ، ص ١٩ .

(٢) م . السابق ، ص١٩ .

(٣) م. السابق ، ص ١٩ .

(٤) موسى صبرى: جريدة الأخبار القاهرية ، عدد مايو ١٩٦٧ ، بعنوان " ما هى حكاية بنت ستالين التى هاجرت خارج بلادها ؟ ".

كتابه " الآفات الاجتماعية " كما يؤكد علـــى أن الديـن يوحـد الروابـط بين المرء وبارئه الأعلـى ويـهدى النـاس إلـى الصـراط المسـتقيم ، وينير بصائرهم فى أعمالهم وأنــه لـولا الديـن لأصبـح النـاس فـى مصاف العجماوات ، بل أحط منـها منزلـة .(1)

أما عن الدين الإسلامى وموقفه مـن مصدريـة القيـم فإنـه يؤكـد أن القيم مصدرها الله سبحانه وتعالى ، ويؤكد ذلك مـا جـاء فـى كثـير من آياته مثل قوله تعالى: ﴿ **قد جـاءكم مـن الله نـور وكتـاب مبيـن يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السـلام ويخرجـهم مـن الظلمـات إلى النور بإذنه ويهديهم إلـى صـراط مسـتقيم** ﴾ (2) وكـان رسـول الله صلى الله عليه وسلم خُلقه القـرآن .

المصـدر الثالث : ينقسم أصحـاب هـذا الـرأى إلـى فريقيـن : الأول : ذهب إلى القول بأن مصدر القيم شـىء غـير الإنسـان وغـير الله ، والثانى : رأى أن القيم منـها مـا هـو مصـدره الديـن أو " الله " ومنها ما هو مصدره الإنسان ؛ ولـهذا فـالقيم عندهـم منـها مـا هـو نسبي ومنها ما هو مطلـق .

ويمثل أصحـاب الفريـق الأول " كـانط " الـذى رأى أن السـلوك الدينى عند الشخص وهو الاعتقاد بوجود الله وخلـود النفـس يـرد إلـى حاجة لدى الشخص تتولد من علاقته بمثله الأعلـى الخلقـى وهـو مثـل

---

(1) أبو نصر مبشر الطرازى الحسينى : الأخلاق في الإسلام ، ص19 .

(2) المائدة : 15 – 16 .

أعلى يتمثل فى مبدأ " الواجب " وهو الصادر عن اختيار حر وليس صادراً عن طاعة لسلطة خارجية.[1] كما نفى " جود " Joad ١٩٥٣ م . أن يكون مصدر القيم الإنسان أو العقل أو الله ، وإن كان يرى أنها تنتمى إلى عالم واقعى مثالى . ولكن ليس بمعنى أنها قائمة فى العقل أو أنها ليست مجرد أجسام يمكن معرفتها . بل هى أهداف ورغبات ينبغى أن نسعى لتحقيقها ، وعلى الرغم من ذلك فقد ربط " جود " بين القيم والدين ، لأن الاعتراف بالقيم الموضوعية كالأخلاق والسعادة يتضمن وجود عقل غير العقل الإنسانى يعرف ويتمتع بتلك القيم ، وهذا العقل لا يدرك الأخلاق فحسب ، بل يخلقها فهو الذى يضع القانون الخلقى أو نظام الكون فإذا كان مشروع هذا القانون هو خالق الكون فلا بد أن يوجد القانون الخلقى الذى يسود الكون ويتخلله مستقبلا عن وجود الإنسان ، وبذلك تتجلى طبيعة الله فى القيم الكلية كالسعادة والخير والحق والجمال.[2]

ويرى " اينشتين " أن الدين هو الذى يرسم الغاية ، والعلم هو الذى يزودنا بمعرفة الوسيلة التى تساهم فى بلوغ تلك القيم ، والدين عنده هو الذى يعالج تقويم الفكر والفعل الإنسانى ، وليس له أن

---

(١) د. عثمان أمين: مقال نقد العقل الخالص لكانط ، تراث الإنسانية ، المجلد الأول ، عدد ١٢، ١٩٦٣ ، ص١٧ .

(٢) د. صلاح قنصوه: نظرية القيم، ص١١٨ .

يتناول الوقائع والعلاقات بينـــها فــهذا مــن شــان العلــم ، ولا موضـــع عنده لإله يفرض كعلة مستقلة عن حـــوادث الطبيعـــة .

كما ذهب " جـــون ديـــوى " إلـــى إرجـــاع الديـــن إلـــى الطبيعـــة مصدرا للمثل العليا والممكنات والأمل فيها ، ومـــلاذا أخـــيراً لكـــل مـــا تؤثره بالخير والتفضيل ، ورفض " ديوى " فكرة إلـــه مفـــارق للعـــالم ، ولكنه يعده وحده جميـــع الغايـــات المثاليـــة التـــى تثـــير فينـــا الرغبـــة والعمل . والله عنده هو المثـــل العليـــا للتجربـــة الإنســـانية والمســـتمدة منها . ويتلخص موقف هـــؤلاء فـــى عـــدم اعترافـــهم بآلهـــة ، وعلـــى الرغم من ذلك يعترفون بالدين كمنظومة محـــددة مـــن القيـــم .[١]

الـــرأى الثـــانى : يـــرى أصحـــاب هـــذا الـــرأى أن هنـــاك قيمـــا مصدرها الإنسان يضعها لتسيير حياته اليوميـــة والقيـــم التـــى مصدرهـــا الإنسان أو المجتمع قيم نسبية ، تختلف من مجتمع لآخـــر ومـــن زمـــان لآخر، وهناك من القيم مـــا هـــو مصدرهـــا " الله " وهـــذه القيـــم ثابتـــة مطلقة ، ووجب على الإنسان الالتزام بها مثـــل القيـــم الدينيـــة . ويمثـــل هذا الرأى " د . زكى نجيب محمـــود " الـــذى ذهـــب إلـــى وجـــود قيـــم نسبية مصدرها الإنسان وقيم ثابتـــة مصدرهـــا الله .[٢]

من خلال العـــرض الموجـــز لمصـــادر القيـــم وانقســـام الفلاســـفة والمفكرين ورجال الدين حولـــها **يلاحـــظ** : أن القيـــم الوضعيـــة والتـــى

---

(١) د. صلاح قنصوة: نظرية القيمة ، ص٢١٧ – ٢١٨ .

(٢) د. زكى نجيب محمود : الكتاب التذكارى ، المجلس الأعلى للثقافة ، ص٤٤٦ .

ترجع فى مصدرها إلي الإنسان لا تستحق الاعتماد عليها اعتمادا كليا فى جميع شئون الحياة إذا لم توضع على أساس من القيم الدينية ، وبمعنى آخر فإنها لا تستطيع وحدها أن تضمن للفرد والمجتمع أن يعيش حياة سعيدة أو توفر له السعادة لأسباب منها :

أ- إن عقول العلماء والمفكرين والفلاسفة الذين يضعون أسس هذه القيم الوضعية عاجزة مهما قويت على الإحاطة بجميع مصالح المجتمع البشرى ، كما أنها قاصرة عن تقنين هذه القيم بما يتفق مع الطبائع المختلفة .

ب- إن القيم الوضعية لا تستطيع أن تؤثر فى معنويات المجتمع تأثيرًا قوياً كما يجب وكما ينبغى حتى تجعل من أفراده وأبنائه أصحاب أخلاق مثالية .

ج - إن القيم الوضعية توضع لحفظ النظام العام فى حياة المجتمع ولا تعالج إصلاح القلوب والضمائر، أما القيم السماوية فإنها تقوم بإصلاح القلوب والضمائر لكل شىء وتكسبه قوة العقيدة والإيمان والسلوك الحميد .

د- إن القيم الوضعية لا تستطيع أن تخفف من محبة الدنيا وحب المادة ، أما القيم الدينية فإن من خصالها القدسية التى تخفف من محبة الدنيا وحب المادة الوضعية .

هـ- إن القيم الوضعية لا تستلزم الخوف من الله الواحد ، بل الخوف من سلطة الحكومة والفرد ، أما الدينية فإنها تدعو إلى الخوف من الله كما أنها تأمر بالطاعة لله وأولي الأمر.

ولهذا دعَا " جـــارودي " الغـــرب إلـــى الأخـــذ بـــالقيم والمبـــادئ الإسلامية والإيمان بـــالله الواحـــد وكتبـــه ورســـله بـــدلا مـــن الإيمـــان بالصنمية والتى تتمثل فـــى التنميـــة والتقـــدم والفرديـــة وتمجيـــد الأمـــة وأصنام القـــوة المســـلحة والجيـــوش الجـــرارة وغيرهـــا مـــن أصنـــام وطواطـــم .(١)

رابعاً: أهمية القيـــم

إن قيام أى حضارة وازدهارهـــا أو تأخرهـــا أو ســـقوطها ، إنمـــا يرجع إلى المعنى الذى يســـتقر فـــى أذهـــان أفـــراد الأمـــة عـــن القيـــم المختلفة فى الحياة ، فـــهى التـــى تعطـــى للمجتمـــع شـــكله وشـــخصيته وهويته ، كما أنها تعتبر الصورة التى يكـــون عليـــها المجتمـــع . (٢)

فالقيمة ليست شيئا مجرداً مســـتقلاً فـــى ذاتـــه بعيـــدة عـــن ســـلوك الإنسان بل هى مندمجة فى الســـلوك نفســـه ولا تنفصـــل عنـــه ، وهـــى تشبه ربان السفينة الذى يجريها ويرسيها عـــن قصـــد مرســـوم ، وإلـــى هدف معلوم ، فإذا صلح الربان نجـــت الســـفينة مـــن الغـــرق ، كـــذا إذا صلحت القيم نجا الإنسان مـــن المفاســـد (٣) .

---

(١) د. مصطفى حلمى : الإســـلام والمذاهـــب الفلســـفية ، دار الدعـــوة للنشـــر ، ط١ ، ١٤٠٥ هـــ - ١٩٨٥ ، ص٢٦٤ - ٢٦٧ .

(٢) د. احمد فؤاد الأهوانى : القيم الروحية فى الإسلام ، ص٣٥ .

(٣) د. صلاح قنصوة: نظرية القيمة ، ص١٢ .

وتتمثل أهمية القيم حسب أهدافها والتي حددها " شبرانجر " spranger ١٨٨٢ [١] والتى منها ما يلى: [٢].

١- **الأهداف الدينية** : وتتمثل فى الوحدة التى هى غاية رجل الدين والذى يسعى إلى فهم الكون من حيث هو وحدة كل متصل ، حيث يرغب فى الوصل بينه وبين الله . كما أنها تضفى على الإنسان الأمان والطمأنينة والراحة النفسية . إذا ما التزم بها عن رغبة داخلية .

٢- **الأهداف الاجتماعية** : وتتجلى فى محبة الناس والتعاطف معهم . والإنسان الاجتماعى يقدر الناس بوصفهم غايات ، ويرى فى الحب الصورة الوحيدة الملائكية للصلات المتعددة بين الناس ، ولذلك فهى تساعد المجتمع على مواجهة التفكك ، وتحدد له أهدافه ومثله العليا ومبادئه الثابتة والمستقرة ، وتساعده على مواجهة المتغيرات التي تحدث فيه ، بتحديدها الاختبارات الصحيحة التى تسهل على الناس حياتهم وتحفظ لهم استقرارهم وكيانهم فى إطار موحد ، كما أنها تقى المجتمع من الأنانية الفردية ونزاعات الشهوات الطائشة ، حيث تحمل الأفراد على التفكير فى أعمالهم على أنها محاولات للوصول إلى الأهداف فى غايات فى حد ذاتها . كما أنها تزود المجتمع بالصبغة التى يتعامل بها مع العالم وتحدد له

---

(١) الأستاذ بجامعة برلين.

(٢) د. صلاح قنصوة: نظرية القيمة ، ص٧٤ – ٧٥ .

أهداف ومـــبررات وجــوده ، وتعطــى نمطـــا معينـــا مـــن الشـــخصية الإنسانية القادرة على التكيف الإيجابى فى المجتمـــع ســـواء المحلـــى أو الدولـــى .[1]

٣- **الأهداف النظريـــة** : وتتمثـل فى الاهتمـــام الموجـــه للكشـــف عن الحقيقة دون النظر إلـــى المنفعـــة أو الجمـــال ، مســـتخدما المنـــهج العلمى النقدى . فالشـــخص النظـــرى هـــو الـــذى يســـعى وراء وجـــوه التماثل والتباين فى الأشياء دون النظـــر إلـــى المنفعـــة ، بـــل الاهتمـــام والمقصد هو البحث عن المعرفـــة .

٤- **الأهداف الجمالية** : وتســـتخلص مـــن القيـــم الجماليـــة حيـــث يسعى رجل الجمال وراء الشكل والتناسق فيحكم علـــى كـــل جـــزء مـــن حيث التناظر والتناسب ، وينظـــر إلـــى الحيـــاة علـــى أنـــها أصـــوات تتوالى الواحدة بعد الأخرى مستهدفا كلا منـــها فـــى ذاتـــها فيـــنزع إلـــى الفردية والاكتفاء الذاتـــى .

٥- **الأهداف الاقتصادية** : تتمثل فـــى الاهتمـــام بالنتـــائج العلميـــة والمنافع المرتقبة ورفع المستوى المعيشى للإنســـان إذا مـــا الـــتزم بقيـــم الاقتصاد التى يحددها القـــانون التجـــارى .

٦- **الأهداف السياسية** : ويعنى بها السعى إلـــى القـــوة والســـلطان ولا تقتصر على السياسة بل تتعدّاها إلـــى ســـائر المجـــالات ، فالحـــاكم

---

(١) د. علي خليل مصطفي أبو العينين: القيم الإسلامية والتربية ، مكتبة إبراهيم حلبـــي ، المدينة المنورة ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م ، ص٣٧ .

صاحب القيم والمبادئ يظل محل احترام الجميع حتى لو ترك السلطة ، والحاكم الذى لا يلتزم بأى قيم ومبادئ يظل محل استنكار وكراهية ، من الرعية حتى ولو لم يصرحوا بذلك .

كما ترجع أهمية القيم إلى كونها تحقق أو تؤكد الهوية الثقافية وتحقق للفرد والمجتمع الإحساس بالأمان فهو يستعين بها فى مواجهة ضعفه وفى مواجهة التحديات التى تواجهه وتعطى للفرد فرصة التعبير عن نفسه ، مؤكداً ذاته عن فهم عميق لها ، كما أنها تعمل على ضبط الفرد لشهواته ومطامعه كى لا تتغلب على عقله ووجدانه لأنها تربط سلوكه وتصرفاته بمعايير وأحكام يتصرف فى ضوئها وعلى هديها ، فى الحكم على الخطأ والصواب و الحسن والقبيح والخير والشر .

الفصل الثانى

أنواع القيم

لا يقل الخلاف حول تقسيم القيم إلى أنواع عن الخلاف حول مفهومها ومصادرها ، بل لقد ازداد الخلاف أكثر حول تقسيمها ، ويتمثل الخلاف هنا حول رؤية الفلاسفة والمفكرين وعلماء الدين وعلماء النفس والاجتماع : فهناك من قسمها على أساس علاقتها بما هو مادى وبما هو روحى ، ومن قسمها حسب الأبعاد مثل بعد المحتوى والمقصد ، والشدة والعمومية ، وهناك من قسمها على أساس سيكولوجى وسيسولوجى[1] .

فالفلاسفة القدماء قسموا القيم حسب موضوعها إلي ثلاث قيم هى الحق والخير والجمال وهذا هو التقسيم الأكسيولوجى لها . وأول من قسمها إلى هذا التقسيم سقراط و أفلاطون وأرسطو ، "غير أن هؤلاء اتخذوا من العقل ميزاناً لهذه القيم ، التى تحدد

---

(١) انظر د. عبد الرحمن بدوي: الأخلاق النظرية، ط٨ الكويت ١٩٧٥، ص١٠٥ – ١٠٩، ص٩٠ وانظر فوزية دياب : القيم والعادات الاجتماعية، بيروت، دار النهضة، ١٩٨٠م ، ص٧٦وص٧٩– ٩٢ .

– د . حامد زهران: علم النفس الاجتماعي، ط٤، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٧، ص١١٧ -١١٩ ، و د. توفيق الطويل: أسس الفلسفة، دار النهضة ١٩٧٩، ص٣٧٨ .

السلوك البشرى على أســـاس مثـالي لمـا ينبغـى أن يكـون ، حينمـا توصلت إليه اجتهاداتهم التى يحكمـــها العقـل لا الوحـى فـى التفريـق بين الخير والشر، أو بين الفضائل و الرذائـل وكذلـك سـلكت الفلسـفة الحديثة فى الغرب منهجاً لا صلة له بـالوحى ، حيـث أطلقـت مفـاهيم عقلية مثل " الواجب " الذى هو أساس بمـا ينبغـى أن يفعلـه الإنسـان " والضمير " الذى هو رقيب على هذا الواجـب..." [1] ثـم تبعـهما بعـد ذلك تقسيمات أخرى بإضافة قيم إلى السـابق ذكرهـا ، ومـن هنـا تـم إفسـاح المجـال إلـى دخـول القيـم الاجتماعيـة والسـيكولوجية والاقتصادية ، كما قسمت القيم من الأدنى إلـى الأعلـى. [2]

ومـن تقسـيمات القيـم التقسـيم حسـب المصـدر فـهناك القيـم الإنسانية التى مصدرها الإنسـان وهـى تشـمل كـل القيـم السـابقة ، والقيم الدينية التى مصدرها الدين ، وهـذا التقسـيم هـو الـذى تسـير عليه هذه الدراسة ، ونظراً لأن موضوعها القيـم الدينيـة فـهى تركـز عليـها مـع المقارنـة بينـها وبيـن القيـم الإنسـانية التـى مصدرها الإنسـان .

---

(١) د. عبد اللطيف العبد: الأخلاق فـي الإسـلام ، دار الثقافـة العربيـة – القـاهرة، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م، ص٢٣ .

(٢) انظـر: د. عـادل العـوا: القيـم الأخلاقيـة، مطبعـة جامعـة دمشـق ، ١٩٦٠، ص١٨٢ – ١٨٣ .

القيم الدينيــة:

مما لاشك فيــــه أن القيــم الدينيــة لا تلقــى القبــول مــن معظــم المفكرين والفلاسفة ورجــــال السياســة علــى الأخــص ، ولــهذا كــان الخلاف حولها على أشده ، فهناك من رفضـــها ، وهنـــاك مـــن أقرهـــا ، وهناك من توقف حيالها ، وعلى الرغم مـــن هــذا الخـــلاف فــإن القيــم الدينية تعد من أهم القيم على الإطلاق إذا لم تكـــن هـــي الأســـاس الــذى تنطلق منه جميع القيم والحاوية لكل القيــم النبيلــة، فـــهى تفــوق جميـــع القيم ، وترجع أهميتها إلى أن الدين هو أســــاس القيــم والوعـــى بـــها ، والساعى دائما إلى تدعيمها ، وهى قيـــم روحيــة قــادرة علـــى هدايــة الإنسان هداية حقيقيـــة ؛ لأنـــها مـــن صنـــع الله الـــذى خلــق النفــوس وأوردها فجورها وتقواها ، ولقد أرست الأديان جميعــــا وعلـــى رأســـها الإسلام قيما منزهة عن كل منفعة شخصية على غـــير مـــا هـــو معتــاد لدى الناس من القيم الإنســـانية الســـائدة ، وأخــذ الإســـلام يدعـــو إلـــى اعتناق هذه القيم عن طريق الحكمة والموعظــة الحســنة ، ولكـــى تفـــهم القيم الدينية يجب أن نفـــهم أولا مـــا هـــو الديــن الـــذى هـــو مصـــدر هذه القيــم .

<u>أولا</u>: **مفهوم الدين** : الدين عند المسلمين وضــــع إلـــهى يرشـــد إلي الحق فى الاعتقــــاد والخـــير فـــى الســلوك والمعـــاملات ، وعنـــد الغربيين أمثال " كانط " هو الشعور بواجباتنا مـــن حيــث كونـــها قائمـــة على أوامر إلهية ، ويعرفه " هربرت سبنسر " بقولـــــه : " الإيمـــان قـــوة

لا يمكن تصور نهايتـــها الزمنيـة ولا المكانيـة.. "[١] وعـبر عنـه " ميلر " بقوله : " الديـن هـو محاولـة تصـور مـا لا يمكـن تصـوره والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه هـو التطلـع اللانـهائي، هـو حـب الله .."[٢] وعند " أميل دور كـايم " هـو: " مجموعـة متسـاندة مـن الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشـياء المقدسـة، واعتقـادات وأعمـال تضم أتباعها فى وحدة معنوية تسـمى الملـة.."[٣]

ويقصد بالقيم الدينية تلك القيـم المنبثقـة مـن العقيـدة المتكاملـة التى يتحرك بها المسلم في مجال الحيـاة عـابدا لربـه، ومجـاهداً فـى سبيله، وساعيا فى الخيرات بإذنـه، وهـذه العقيـدة نابعـة مـن إيمـان وثيق بالله لا يتزعزع... وثقـة تامـة فـى عدلـه وقضائـه وتصديـق شامل بكتبه ورسله ، ومعرفة يقينية بـاليوم الآخـر.[٤]

ومن خلال تعريـف الديـن والقيـم الدينيـة سـواء مـن جـانب المسلمين أو من جانب الغربيين مـن أصحـاب الديانـات الأخـرى ، نجد أن هناك أوجه اتفاق بين الدين والقيم ، بل مـن الممكـن أن نقـول إن الدين هو مجمع القيم ، بل هو القيـم ذاتـها كمـا جـاء فـى قولـه

---

(١) د. محمد عبد الرحمن بيصار: العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمـع ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٤، ١٩٧٣،ص٨٧ .

(٢) م . السابق، ص٨٧ .

(٣) م . السابق، ص٨٨ .

(٤) د. توفيق محمد سبع: قيم حضارية في الإسلام، مجمع البحـوث الإسـلامية، السـنة الرابعة، العدد ٢٥ يوليو، ١٩٧٣، ج٢ ، ص ١٩٥ .

تعالى : ﴿ **إن عدة الشهور عند الله اثنا عشـــر شـــهراً فـــي كتـــاب الله يـــوم خلـــق الســـماوات والأرض منـــها أربعـــة حـــرم ذلـــك الديـــــن القيم** ﴾ [1] وكما جاء فى قوله تعـــالى: ﴿ **فـــأقم وجـــهك للديـــن حنيفـــاً فطرة الله التى فطر النــــاس عليـــها لا تبديـــل لخلـــق الله ذلـــك الديـــن القيم** ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ **ومـــا أمـــروا إلا ليعبـــدوا الله مخلصيـــن لـــه الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلـــك ديـــن القيمـــة** ﴾ [3]

ولهذا جعل بعض فلاســـفة الغـــرب الديـــن كمـــال القيـــم وقمتـــها الشامخة، فمجال القيم عند "رتيشـــــلى" هـــو الديـــن ، وعنـــد " هوفدنـــج Hoffding ١٩٣١ " صيانة القيم .[4] وهنـــــاك مـــن رأى أن وظيفـــة القيم الدينية هى المحافظة علـــى القيـــم الأكســـيولوجية الثـــلاث (الحـــق والخير والجمال) أكثر من وضعها قيمة رابعـــة تضـــاف إليـــها.[5]

ثانياً: خصائص القيم الدينيـــــة :

قد يتساءل البعض لمـــاذا تحـــرص الأغلبيـــة مـــن علمـــاء الديـــن والمفكرين والفلاسفة الإلـــــهيين علـــى القيـــم الدينيـــة ؟ ولمـــاذا تتجـــدد الدعوة دائما فى كل عقد إلـــى ضـــرورة العـــودة إلـــى القيـــم الدينيـــة؟

---

(١) التوبة : ٣٦ .

(٢) الروم : ٣٠ .

(٣) البينة : ٥ .

(٤) د. صلاح قنصوة: نظرية القيم، ص٤٣ .

(٥) د. توفيق الطويل: أسس الفلسفة، ص٣٧٨ .

ولماذا الهجوم الذى نجده بين الحين والحين على القيم الوضعية؟ هل هو مجرد تحيز للدين ضد الفكر الإنسانى ؟ وهل هو رغبة فى الفوز بالجنة ؟ ولماذا التمرد المتكرر ضد قيم المادة ؟ للإجابة على ذلك يجب الوقوف على أهم الخصائص التى تتميز بها القيم الدينية على القيم الوضعية ، والتى أدت لوقوف الأغلبية فى جانب القيم الدينية والتمرد على القيم الوضعية .

فإذا نظرنا إلى هذه القيم بأنواعها الوضعى والدينى نجد أن القيم الدينية تتميز بعدة خصائص من أهمها:-

١ــ أن القيم الدينية تتميز بأنها قيم سامية، ويرجع سموها إلى أنها روحية لا مادية ، ولهذا فهى تأخذ بيد الإنسان وترفعه إلى درجة السمو، وذلك عن طريق إلهام العقل بالهداية وتوجيهه ؛ لأن العقل بطبيعته يدرك الأمور علي ما هى عليه ، وهذا عكس القيم المادية " الوضعية " التى تنزل بصاحبها إلى درجة السقوط ، وذلك يرجع إلى طبيعة مستواها المادى المحسوس الذى يجتذب الإنسان ويحركه نحو الفساد والطغيان لا نحو الصلاح.[١] ولهذا وبسبب السمو الذى تتميز به القيم الدينية فهى تفى بحق الإنسانية وتخرج الإنسان الذى عانى بسبب بعده عن الدين الصحيح من القلق والاضطراب والتعاسة وفقدان مشاعر الأمن والسعادة والطمأنينة وانتشار الجريمة والعنف والإدمان والأمراض النفسية والعصبية

---

(١) د. أحمد فؤاد الأهوانى: القيم الروحية في الإسلام، ص١١ .

وزيادة نسبة الانتحار والطلاق والاغتصاب والقتل وسيطرة مشاعر الاغتراب والوحشية واليأس والرعب الذى ساد معظم دول العالم المتقدم منها قبل المتأخر حضاريًا . ولهذا نادى الحكماء بالعودة إلى الإيمان الذى يمثل طوق النجاة واستعادة الأمن والأمل والثقة والتفاؤل والعدل والمساواة .[١]

٢ــ كما تكمن أهمية القيم الدينية فى عمق الشعور والوعى بها والغاية منها ، والاقتناع بها دون النظر إلى أساسها العقلى ، كما أن الدين يشير إلى الوجود الواقعى للقيم ، ومهما تختلف الأديان المنزلة أو غير المنزلة ، صادرة عن وحى أو غير وحى ، مؤلهة أو وثنية ، فهى تستند إلى موقف معين من القيم ، وتعتمد نظرة الأديان الكونية على تعيين مراتب الأشياء والأفعال ومنازلها ، فثمة ما هو أسمى وما هو أدنى .[٢] ويؤكد د. توفيق الطويل على

---

(١) انظر : د. عبد الحميد مدكور: الدعوة الإسلامية في عصر ثورة المعلومات ضمن المؤتمر السابع للفلسفة الإسلامية ، كلية دار العلوم – جامعة القاهرة ، أبريل ٢٠٠٢م ، ص٤٦ . محمد فريد وجدى: الإسلام في عصر العلم ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ط١ ، ب. ت ، ص ٦٩٢ – ٦٩٣ . هنرى لنك : العودة إلى الإيمان ، ترجمة د . ثروت عكاشة ، دار المعارف ، ط٣ ، ١٩٦٤، ص٨١ – ٨٢ ، ص١١٩ – ١٢١. شنايدر: العالم فى القرن العشرين ، ترجمة سعيد عبود السمرانى دار مكتبة الحياة ، ص٢٠٠ – ٢٠١ . محمد عبد الله الشفقى : مع أرنولد توينبى ، الدار القومية للطباعة ١٩٦٤م ، ص٣٤.

(٢) د. صلاح قنصوة : نظرية القيم ، ص٢١٦ – ٢١٧ .

أن استقراء التاريخ من قديم الزمان يشهد بـأن الشـعوب لا تحيـا بغـير دين تعتنقه، وقد سـجل التـاريخ بـأن الحكـام اللادينييـن مـع عـدم اعترافهم بأى دين فإنهم قـد أدركـوا مـن قديـم الزمـان أن اسـتقامة مواطنيهم واستتباب الأمن فى بلادهم يكفلـه إيمانـهم بـالدين والتزامـهم بتعاليمه أكثر مما تكفله أجهزة الأمن . والحـاكم الذكـى إذا لـم يؤمـن بالدين فإنه يحرص فى العادة على نشـر الديـن بيـن رعايـاه ، وقـد يتظاهر به أمـام مواطنيـه ، وقـد أكـد ذلـك " مكيـافيللى " (١٥٢٧) الذى نصح الحكام بذلـك .(١)

٣ـ القيم الدينية قيم ثابتة ومطلقة وترجع أهمية هـذا الثبـات فـي أنها تعبر عن المثل العليا التـى ينشـدها الإنسـان لذاتـها ولا يلتمسـها بغرض يبتغيه من ورائها، لأن الأشياء التـى يطلبـها الإنسـان لتحقيـق أغراض معينة تعتبر قيمـاً نسـبية متغـيرة وليسـت مطلقـة ، والقيـم النسبية هى من وضع الإنسـان ، والإنسـان يتمـيز بالذاتيـة والأنانيـة والعصبية ، وبالضرورة فإن هـذه الخصـائص الذاتيـة فـى الإنسـان سيكون لها تأثيرها المباشر وغير المباشر علـى القيـم .

٤ـ من خصائص القيم الدينية الإسـلامية أنـها تتمـيز بالوسـطية نظراً لعدم تسليمها بالصدارة المطلقة للـروح علـى المـادة ولا للمـادة

---

(١) د. توفيق الطويل: دور الدين والأخلاق في بناء الثقافة في مصر المعاصرة، ضمـن الكتاب التذكاري ليوسف كرم مفكراً عربياً ومؤرخا للفلسـفة، المجلـس الأعلـي للثقافـة ١٩٨٨، إشراف د. عاطف العراقي، ص١٣٢ – ١٣٣ .

على الروح ، فمن المستحيل أن يتخلى الإنسان عن احتياجاته المادية أو حتى قهرها، فقد يقنع البعض بحياة الزهد والتقشف واعتزال الناس ، لكن البعض الآخر أو الأغلب من الناس يرفضون ذلك ، كما أنه من المستحيل أن يقبل الإنسان أن يكتفى بتحقيق مطالبه المادية[1]، ويعيش أشبه بالحيوان ، ولذلك تتميز القيم الإسلامية بالتوازن بين الروح والمادة ، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين** ﴾ [2].

٥ــ القيم الدينية قيم شاملة فهى تجمع بين جميع القيم الإنسانية من حق وخير وجمال ، فلكل قيمة من هذه القيم اتصال بالقيم الأخرى فى كل مجال من مجالات عملها مهما اختلفت هذه المجالات . وهناك صلة وثيقة بين الدين وجميع القيم من حق وخير وجمال جميعها مستمد من الدين الذى يعد المصدر الأول لهذه القيم ، فمن خلال العلاقات التى تربط بين الإنسان ودينه نستشف أصول الأخلاق التى تعلمها الإنسان من القيم الدينية ، والقيم الأخلاقية الحقيقية ملازمة للقيم الدينية ولا تنفصل عنها كما أنها

---

(١) د.صوفى أبو طالب : الوسطية أساس التشريع الإسلامى ، ضمن التجديد فى الفكر الإسلامى ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، عدد ٧٥، ٢٠٠١ ، ص ٦٨ .

(٢) القصص : ٧٧ .

لا تنفصل عن باقى القيم والفصل بينهما بمثابة فصل فى الفروع عن الجذور .[1] وهذا عكس القيم الفلسفية والتى تنظر للحق باعتباره مصدراً لعلم المنطق الذى يبحث فى شروط الفكر القويم . وتنظر إلى الخير على اعتبار أنه المعنى الغامض الذى تجلوه لنا فلسفة الأخلاق ، وتنظر إلى الجمال على أنه القيمة التى تبحث عنها الفلسفة فيما تسميه علم الجمال ، ولكل هذه القيم الثلاث على الرغم من أنها تندرج تحت مسمى القيم الفلسفية إلا أنها منفصلة فى دراستها عن بعضها .[2] كما أن القيم تشكل رؤية شاملة للكون والإنسان والحياة ؛ لأن الالتزام بها يحقق التحصين الكامل ويحول دون الافتراق ، لذلك نجد أن المعارف المختلفة الألوان والأشكال والأسلحة التى تستخدمها أنظمة العولمة ، إنما تدور رحاها فى منطق الواقع حول العقيدة بشكل أو بآخر ، والهدف من معظم أنظمة العولمة والهيمنة التى تمارسها هو إبعاد الحياة عن الدين وتشكيلها بعيداً عنه أو فصل الدين عن الدولة ، ويرجع ذلك إلى أن الدين والعقيدة تمثل أعلى درجات الحرية والاعتراف بالتنوع

---

(١) د. سهير فضل الله : القيم الإنسانية ، ص٢٧-٢٨ .

(٢) د.محمد العفيفى : فلسفة القيم في القرآن ، مجلة منبر الإسلام ، العدد ٢ لسنة ٣٢ ، صفر ١٣٩٤هـ ، فبراير ١٩٧٤م ، ص ١٥٢ .

وأرقى أنواع الاختيار لتحقيق كرامة الإنسان ، وهذا ما لا تريده أنظمة العولمة [1] .

٦-ربط القيم الدينية بالعبادة التى هى من أركان الإيمان ، فالعبادات الإسلامية فى حقيقتها تنتهى إلى تأثير القيم الخلقية والجمالية واليقينية ، فالصلاة والصوم والزكاة والحج ... لا تصح عند الله ما لم تنه عن الفحشاء والمنكر والبغى كما أن الصلاة والصوم فيهما طهارة بدنية ونفسية للإنسان مما يجعله على أحسن صورة ، وكل متأمل فى الدين الإسلامى يجد أن الفرائض الدينية التى شرعها الإسلام ذات وشائج قوية تربطها بالمبادئ الأخلاقية التى تحقق كرامة الإنسان، ولهذا قال " الإمام على بن أبى طالب " : ((الإيمان الصحيح يقوم على أربع فضائل : على اليقين والصبر والعدل والجهاد..)) [2] والزكاة هدفها غرس الألفة ومشاعر الحب والرأفة وتوطيد العلاقة بين أفراد المجتمع ، كما أن من أهم أهدافها الطهارة كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ..**﴾ [3] والصوم هدفه الكشف عن قول الزور واللغو ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**ليس الصيام عن الطعام والشراب إنما الصيام عن اللغو والرفث. فإن سابك أحد**

---

(١) د . عمر عبيد حسنة : مقدمة كتاب ظاهرة العولمة ، د . بركات محمد مراد ص٣٥-٣٦ .

(٢) د. عثمان أمين : الجوانية، دار القلم ، ١٩٦٣ ، ص ١٩٤ .

(٣) التوبة : ١٠٣ .

أو جهل عليك فقل إنـــي صــائم..)) [١] والحـــج ليـس المقصـــود منـــه مجرد عبادة غيبية أو رحلة مجردة عـــن المعـــانى الخلقيـــة كمـــا توهـــم البعض ، بــــل هـــو الإمســـاك عـــن الرفـــث والفســـوق والجـــدال .[٢] كما جاء فى قوله تعــــالى : ﴿ **الحـــج أشـــهر معلومـــات فمـــن فـــرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحـــج ومـــا تفعلـــوا مـــن خير يعلمه الله وتزودوا فإن خـــير الـــزاد التقـــوى واتقـــون يـــا أولـــى الألبـــاب** ﴾ [٣]

٧-كما تتميز القيم الدينية بالتدرج فـــى مجـــال الســـلوك الإنســـانى أى الأخلاقى ، ومن جهة أخــــرى بحـــدود الطاقـــة الإنســـانية ، لأن الله جل وعلا لا يكلف نفسًـــا إلا وســـعها والحـــق يرتبـــط بمفـــهوم العـــدل الإلهى والجمال يعبر عن تقدير جمال الخالق والتســـبيح لـــه .[٤] ولـــهذا فالقيم الدينيـــة هامـــة بالنســـبة لمرحلـــة الطفولـــة ســـواء المبكـــرة ، أو المتأخرة نظراً لهذا التدرج الذى تتميز به فـــى التطبيـــق ، وقـــد كشـــفت الدراسات النفسية الحديثة عن أهمية القيـــم الدينيـــة كـــالصدق والأمانـــة

---

(١) صحيح ابن حبان مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٩٣ ، تحقيق ، شـعيب الأرنؤوط، ج٨ ، ص٢٥٥ .

(٢) محمد الغزالي : خلق المسلم ، دار الكتب الحديثة ، ط٧ ، ١٩٦٤ ، ص٦ – ٨ .

(٣) البقرة : ١٩٧ .

(٤) د. فوقية حسين محمود : مدخل إلى الفكـــر الإســـلامى ، كليـــة البنـــات ، ١٩٨٢ ، ص٢٨٤ .

واحترام الآخرين خلال هذه المرحلة العُمْرِيــــة ، وإن هــذه القيـــم لابــد من تغيرها وتبدلها تدريجيا مع تقدم ســــن الطفــل .(١)

٨-كما تتمـــيز القيـــم الدينيـــة بـــالجمع بيـــن النظريـــة والتطبيـــق ويرجع ذلك إلى أن الإسلام ربط القـــرآن بـــالميزان الـــذى تـــوزن بـــه القيم لتقترن القيم والمثـــــل بـــالتطبيق العملـــي والممارســـة والإنجـــاز . والحضارة الإسلامية شاهدة علـــى ذلـــك فـــالقيم الدينيـــة تمتلـــك جميـــع الوسائل لتهذيب الإنسان لا لتعذيبــــه وليصـــوب وصلـــه وعطـــاءه فـــى الدنيا ، ليحصل على ثواب الآخرة ، وقيم الديـــــن هـــى لإعمـــار الدنيـــا وفق سنن الله ومنهجه .(٢) وهذا عكس القيـــم الوضعيـــة الـــتى تحـــرص على النظر فى العادة دون التطبيـــق أو العكـــس .

٩-ومن أهم خصـــــائص القيـــم الإســـلامية أنـــها ســـتنتهي حتمـــاً باكتشاف الإنسانية المنفتحة في العـــالم المتقـــدم لـــدي خصوبـــة وثـــراء القيم الإسلامية ، فـــهى تقـــوى فكـــرة التســـامح والمرونـــة والتقـــوى ، والانتماء والولاء للدين والوطن ، وقبول الآخـــر وقبـــول التعدديـــة بكـــل أنواعها من فكرية وسياسية ومذهبيـــة والعمـــل علـــى التنميـــة البشـــرية والارتقاء بها(٣) أما القيم الوضعيـــة فـــهى تقـــوم علـــى أنـــه لا مكـــان

---

(١) د . عبد اللطيف محمد خليفة : ارتقاء القيم، دراسة نفسية ، عالم المعرفـــة ، أبريـــل ١٩٩٢ ، ص٢٢ .

(٢) عمر عبيد حسنة : مقدمة كتاب ظاهرة العولمة ، ص٤٢ – ٤٣ .

(٣) د. سالم محمود عبد الجليل : تجديد الخطـــاب الدينـــى، المجلـــس الاعلـــى للشـــئون الإسلامية العدد ٩٠ ، ٢٠٠٣ ، ص٥ – ٦ .

للتقوى والانتماء والولاء، لا للدين ولا الوطـــن، بـل للذاتيـة والمنفعـة والمصالح الخاصة فوق كل اعتبـــار.

هذا بالإضافة إلى كثير من الخصــائص التـي تتمـيز بـها القيـم الدينية منها البعد عن التميز ؛ لأنها ليست مـن وضـع البشـرية سـواء كانت متمثلة فـي دولـة أو حكومـة أو حـزب أو جماعـة أو طبقـة ، لذلك فهى أيضا مؤهلة للعالمية كما أن القيم الدينيـة تعـد مفتـاح جميـع العلوم والقيم الأخلاقية من أمانـة وتكـافل اجتمـاعي ورحمـة وصـبر وشجاعة . وهذه الصفات والخصائص لو تمسـكنا بـها لاسـتغنينا عـن اللجوء للغرب وطلب الحماية منه . ولنا فـي غـزوات الرسـول صلـى الله عليه وسلم أكبر مثل وقدوة حيـث غلبـت فئـة قليلـة فئـة كثـيرة بالتقوى والعمل الصـالح .[1]

ثالثاً: أنواع القيم الدينيـــة

إذا كان الفلاسفة قد قسموا القيم إلـى ثـلاث قيـم أساسـية هـي : قيم الحق ، والخير ، والجمال ثم تفرع من هذه القيـم قيـم أخـرى هـي القيم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسـية...إلـخ . فـإن رجـال الدين برغم اعتمادهم على تقسيم الفلاسفة فإنـهم قسـموا القيـم الدينيـة إلى قيم أساسية منها قيـم الإيمـان والتـي تعـد عمـدة القيـم الدينيـة

---

(١) د. نعمات أحمد فؤاد: الإسلام وإنسان العصر، العودة إلي المنبع، المجلـس الأعلـى للشئون الإسلامية، عدد ذى الحجة ،١٤٢٢ ، فبراير ، القسم الثانى ، ص١٦ .

والإنسانية على السواء بالإضافة إلى قيم التقوى والتسامح ، والهدى ، والصبر ..إلخ .

ونظرا لأن قيم الإيمان تعد الأساس والمنبع الذى تعتمد عليه جميع القيم فسيكون التركيز عليها فى هذه الدراسة .

١ـ قيم الإيمان :

تعد قيم الإيمان أساس القيم الدينية عند رجال الدين خاصة المسلمون منهم ، ولهذا كان الاهتمام بها كبيرا ويرجع ذلك الاهتمام إلى أن :-

- **مفهوم الإيمان لغة :** يعنى به مصدر كل أمن وأمان ، فالمؤمن هو الإنسان الآمن والمؤتمن ، فالإيمان فى اللغة اسم جامع لمعانى الأمان والأمانة والتصديق والحماية ، والحفظ والرعاية ، والثقة والوقاية [(١)] كما أن مفهوم الإيمان الاصطلاحى يرتبط بالدين والعلم والعقيدة . وهذا الارتباط يؤكد أنه لا عقيدة بدون إيمان ، ولا إيمان بدون عقيدة . فالإيمان هو التسليم والرضا وصدق الاعتقاد ، وهو المعرفة والإقرار بوجود الله ووحدانيته . وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : ((**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .**)) [(٢)] وهو التصديق القلبى والعقلى ، هذا بالإضافة إلى أنه يعد عقيدة راسخة

(١) ابن منظور: لسان العرب ، دار المعارف مصر . ب . ت ،ج١، ص١٤٠ .

(٢) مسلم: صحيح مسلم، ج٢ ، باب الإسلام والإيمان والإحسان .

وأخلاقاً فاضلة وأعمالاً صالحة تسمو بالإنسان إلى أعلى درجات الصلاح والفلاح والرشاد .[1]

– كما يعد الإيمان بالله سبحانه وتعالى أول القيم الدينية لأن الإيمان بالله شئ تقتضيه طبيعة الإنسان ؛ من حيث إنه إنسان ؛ ولهذا فإن من لم يتيقن بوجود الله ولم يؤمن به فإنه ليس من عداد الإنسانية ، وإنما هو من أولئك الذين قال الله تعالى في شأنهم : ﴿ **إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا**﴾ [2] وقد ربط الدين الإسلامى بين قيم الحق والخير والجمال وبين الإيمان بالغيب ؛ فالذى يؤمن بالغيب ينتظر من الله الجزاء لإيمانه بالحقيقة كما جاء فى قوله تعالى : ﴿**وخلق الله السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يُظلمون** ﴾ [3] كما ربط بين الحق والجمال فى قوله تعالى : ﴿ **الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين..** ﴾ [4] ، وقوله تعالى : ﴿ **خلق السماوات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم..**﴾ [5] كما جمع هذه القيم فى فعل الإنسان ليميز به ما هو خير وما هو خير منه كما فى قوله تعالى : ﴿ **من جاء بالحسنة**

---

(١) د. عبد الحميد درويش: الفلسفة الاعتقادية في الإسلام ، مكتبة وهبة ، ط١ ، ١٩٩٢ ، ص٤٠ – ٤٢ .

(٢) الفرقان : ٤٤ .

(٣) الجاثية : ٢٢ .

(٤) السجدة : ٧ .

(٥) التغابن : ٣ .

فله خير منها ﴾ [1] والحسنة فعل جميل والسيئة فعل قبيح ، وكل منهما له آثاره المشابهة له فى الحياة الدنيا من حيث الحق والجمال .[2] فكل آية من آيات القرآن وكل حديث يقصد به خير الإنسانية وتحقيق السعادة فى الدنيا والآخرة وجعل الإنسان فى أجمل صورة ، فمن يؤمن بالله واليوم الآخر وكتبه ورسله ويقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويصوم رمضان ويحج البيت الحرام نال كل الخير، وتحققت له السعادة القصوى ، وكان فى أجمل صورة عند الله وعند أخيه الإنسان .هذا بالإضافة إلى أن القيم الإيمانية قيم متعانقة تعانق الأمواج فى المحيط كما أنها تمتزج بعضها ببعض ، ويترابط ويتشابك اللاحق بها بالسابق فى تتابع وانسجام حتى يصبح فى النهاية هيكلا ضخما لأروع حضارة عرفها الإنسان عكس القيم الإنسانية التى تتميز بالانفصال والتناثر وعدم التمازج .

– ويعّد الإيمان بالله أعلى القيم مرتبة لأنه سبب الخلق وعلة وجود الكائنات التى تستمد منه وجودها وبقاءها وحياتها ، ولهذا وجب تقبل هذه القيمة واعتناقها وتقديسها والإذعان لأوامرها ، والذين يفعلون ذلك هم المؤمنون حقا . ومما يدل على أهمية القيم الإيمانية ما ورد فى الكتاب والسنة ، كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ **ليس البرَّ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة**

(١) النمل : ٨٩ .

(٢) محمد العفيفي: فلسفة القيم في القرآن: الإيمان بالغيب ضرورة لمعرفة الحق والخير والجمال ، مجلة منبر الإسلام، العدد ٢ سنة ٣٢ ، صفر ١٣٩٤،فبراير ١٩٧٤،ص١٥٤ .

والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ [1] وقوله تعالى : **﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾** [2] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : ما خطبنا رسول الله صلي الله عليه وسلم إلا قال : " **لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له** " [3] وقال صلى الله عليه وسلم : ((**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت**)) [4] متفق عليه . وقال أيضا : ((**والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل من يا رسول الله قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه**)) [5] وقال الرسول صلي الله عليه وسلم أيضا : ((**الحياء والإيمان قرناء جميعا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر**)) [6] وقال : ((**والذى نفسى بيده لا تدخلوا**

---

(١) البقرة : ١٧٧ .

(٢) الحجرات : ١٥ .

(٣) أخرجه الأمام أحمد .

(٤) رواه البخاري ومسلم .

(٥) صحيح البخارى ، باب الإيمان، ومسند الإمام أحمد .

(٦) المعجم الصغير، لسليمان بن أحمد أيوب الطبرانى ، المكتب الإسلامى- دار عمان ١٩٨٥ ط١، تحقيق نحمد شكور محمود الحاج ، ج١، ص٣٧١ .

الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا)) [1] فقرن دخول الجنة بالإيمان والإيمان بالمحبة . وقال صلى الله عليه وسلم : ((**الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان .**)) [2] وقال على بن أبى طالب : ((الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يفدك علي الكذب..)) [3]

– والإيمان له مكانته في جميع الأديان فالإيمان في الديانة المسيحية شرط المعرفة البرهانية اليقينية، حيث يقول القديس أوغسطين : " أنا أومن كى أتعقل ، إذ الإيمان شرط المعرفة البرهانية ." [4] وعبر جارودى عن الإيمان بقوله : " الإيمان عقل بلا حدود " [5] وقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أن الإيمان له أثره العميق فى طمأنينة النفس واجتياز عقبات الحياة ومآسيها ، فالمؤمن يتصف بسلوك وأخلاقيات يتميز بها عن غير المؤمن ، فهو متوكل على ربه عز وجل مؤمن بالقدر خيره وشره ، ويستقبل صنوف الابتلاءات بيقين لا يتزعزع . كما ثبت أن الباحثين عن الطمأنينة

---

(١) سنن البيهقي الكبرى ، مكتبة دار الباز – مكة المكرمة ، تحقيق ، محمد عبد القادر عطا ، ١٩٩٤ ، ج١٠ ، ص٢٣٢ .

(٢) صحيح البخارى: كتاب الإيمان ص٣وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان، ص٥٧ –٥٨ .

(٣) علي بن أبي طالب: نهج البلاغة، ضبط نصه د. صبحى صالح ، دار الكتاب ، ط١ ، ١٩٨٠م ، ص٥٥٦ .

(٤) د. ظريف مصطفى حسين : فلسفة الدين عند جون .س. مل . مجلة الجمعية الفلسفية المصرية العدد الثامن ، ١٩٩٩ ، ص٢٢٦ .

(٥) د. مصطفي حلمى : الإسلام والمذاهب الفلسفية، دار الدعوة للنشر، ١٩٨٥ ، ص٢٥٧ .

والسعادة خارج نطاق الإيمان بالله ، فإنهم يجرون وراء سراب خادع يزيد الظمآن ظمأ . ويؤكد ذلك ما يحدث في بعض دول الغرب مثل السويد بالرغم من أنهم يعيشون فى مستوى اقتصادى ومعيشى يشبه الأحلام إلا أن شبابهم ضائع ويوجد أكبر نسبة انتحار لديهم .[١]

– كما ترجع أهمية الإيمان بالله كقيمة إلى أن الإيمان وحده هو الذي يميز المسلم عن الكافر ، والمشرك عن الملحد ، والذين يؤمنون بالله لهم الفلاح والسعادة، والفوز والرقى فى الدنيا والآخرة ، والإيمان بالله لا يتحقق إلا إذا وقر فى القلب وصدقه العمل ، هذا بالإضافة إلى أن الإيمان ينمى فى الإنسان العزة والكرامة بسبب إيمانه بأنه لا نافع ولا ضار إلا الله ، وأنه لا محيى ولا مميت إلا هو ، وأنه لا صاحب للحكم والسلطة والسيادة إلا هو وحده ، فهذا العلم اليقينى يغنينا عن غير الله ، وينزع من قلوبنا خوف سواه ، فلا يطأطئ الإنسان رأسه لأحد من خلقه كما يحدث فى أيامنا هذه .

– كما ينشئ الإيمان بالله التواضع فى الإنسان فالذى يقول بأن لا إله إلا الله لا يمكن أن يكون بطراً متكبراً ولا يعتريه الغرور. والمؤمن يعلم علم اليقين أنه لا سبيل إلى النجاح والفلاح إلا بتزكية النفس والعمل الصالح ، كما ينمى قيم الصبر والثبات والتوكل والجرأة ، والترفع والقناعة

---

(١) م. السابق ، ص٥٤ .

والاستغناء[1] وتعتبر القيم الإيمانية من أهم مقومات الوسطية الإسلامية وهو ما يميزها عن القيم المعاصرة والتى أفرزتها أنظمة العولمة ، فهى تجمع بين المادة والروح وبين العمل والنظر ، ولا تسلم بالصدارة المطلقة للروح على المادة ، ولا المادة على الروح ، ومن المستحيل أن يكتفى بمطالبه المادية .[2] كما أن القيم الإيمانية تقوم على مبدأ الطاعة والاستجابة لأمر الله ، كما حثنا رب العزة على ذلك فى قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم** ﴾ [3] ولهذه الطاعة والاستجابة التى حثنا عليها الإيمان بالله لها أثرها فى بناء الحضارات ، ويتمثل ذلك فى الدولة الإسلامية فى صدر الإسلام والتى قامت على أساس من الطاعة والسماحة والمحبة والتقوى والجهاد فى سبيله .

٢- قيم التقوى :

التقوى من القيم الدينية الأساسية ، وتعد محورا أساسيا يرتكز عليه الدين ويدور حوله حتى يمكن أن نصف الإسلام حين نريد أن نميزه عن غيره من الأديان بأنه دين التقوى، كما نقول إن المحبة هي القيمة الأساسية فى المسيحية .

---

(١) أبو الأعلى المودودى : مبادئ الإسلام، دار الفكر الإسلامى، سورية ب . ت ، ص٨٤ - ١٠٤

(٢) د. صوفى أبو طالب : التجديد فى الفكر الإسلامى ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، العدد ٧٥ ، ٢٠٠١ ، ص٦٢ .

(٣) الأنفال : ٢٤ .

والتقوى كقيمة تفضل غيرها وترجح عليها فهى تعـــد مـــن مبـــادئ الإيمان ، فهى مثل قيمة الحرية فى الإسلام التى تعد شرط التدين الصحيـح وعماد المسئولية .

والتقوى لغة من الفعل الثلاثى " وقى" والوقاية مصدر بمعنى الحفـــظ والصيانة ، ويفسر الزمخشرى فى الكشاف قوله تعالى : ﴿ **ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين** ﴾ [١] إن المتقى فى اللغة اسم فاعل من قولـــهم وقاه ، فالتقى والوقاية فرط الصيانة . والمتقى فى الشريعة الذى يقى نفســه من تعاطى ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك المتقى لا يطلق إلا عـــن خير ، ولا يجوز إطلاق العدل إلا على الخير والحكم بالتقوى على الشخص لا يكون إلا إذا صدر منه العمل فإذا لم يعمل فلا يمكن وصفه بذلك ، وهذا أساس فضيلة التقوى الإسلامية ، والتقوى كمـــا وصفـــها عبـــد الرحمـــن الكواكبى لغة هى الاتقاء أى الابتعاد عن رذائل الأعمال احترازا من عقوبة الله، لذا يقول الله تعالى : ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم..** ﴾ [٢] ولهذا فأفضل الناس هو أكثرهم ابتعادا عن الآثام وسوء عواقبها وهذا المعنى الجوانـــــى الحقيقى للتقوى عكس ما اعتقده البرانيون فى معنى التقـــوى بأنـــه كـــثرة العبادة .[٣] ومن هنا تكمن أهمية قيمة التقوى فى أنها تجعل القيمة الدينيـــة الحقة لا فى معرفة المبادئ النظرية من حلال وحرام ، وما قاله الفقهاء فى

---

(١) البقرة : ١،٢ .

(٢) الحجرات : ١٣ .

(٣) د . عثمان أمين : رواد الوعى الإنسانى فى الشرق الإســـلامى ، مكتبـــة الأســـرة ، ٢٠٠١م ، ص١١٤ .

ذلك ، ولكن القيم الدينية الصحيحة هى تطبيق هذه المبادئ النظرية علـــى السلوك والعمل أى فى مجال الخبرة ، وعندئذ تكون هذه القيمة الدينية التى نسميها بالتقوى نابعة من العمل بذاته ومتوقفة على طريقة العمـــل ، وفـــى هذا يتعاون الناس حتى يعرضوا على محك العمل .

٣- قيم التسامح :

تعد قيم التسامح من القيم الأساسية فى الدين الإسلامى ، وقـــد ركـــز عليها نظرا لأهميتها ، لكونها وسيلة لسلامة المجتمع واستقراره . والتسامح لغة يعنى به سمح سماحة وسموحة صار من أهل السماحة ، وسمح ســمحا وسماحة : لان وسهل ، ووافقه علي مطلوبه وبذنبه عفا عنه ، وهى أيضا : تدل على الجود والسهولة .[١] والتسامح اصطلاحا هو : " أسلوب المســالم الوديع الذى يواجه به الإنسان اعتداء الآخريـــن عليــه وإســاءتهم إلـــى حقوقه . " [٢]

ويهدف التسامح الإسلامى إلى تهذيب الخلق الإنسانى وتنظيف القلـــب من مشاعر الحقد وتطهيره من نزعات السوء ، وبذلك يرتفع يقين المســـلم ويثبت إيمانه ، وقد عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التسامح فـــى قوله تعالى : ((**ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ويرفع الدرجات قـــالوا نعم يا رسول الله قال : تحلم على من جهل عليك وتعفـــو عمـــن ظلمـــك**

---

(١) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط، ط٣ ، ب.ت ، ج١ ، ص٤٦٤ .

(٢) محمد حسين فضل الله : أسلوب الدعوة فى القرآن ، دار الزهراء ، لبنـــان ١٩٧٢ ، ص٣٣ .

وتعطى من حرمك وتصل من قطعك))[١] ويشمل التسامح الإسلامى المسلم وغير المسلم ويؤكد على ذلك ما روى عن جابر بن عبد الله قال : ((**مرت بنا جنازة فقام لها النبى صلى الله عليه وسلم وقمنا فقلنا يا رسول الله إنها جنازة يهودى فقال : أليست نفسا ؟ إذا رأيتم الجنازة فقوموا**))[٢]

فالدين الإسلامى –حسب قول " جون وود "–هو الدين الوحيد الذى يوحد بين الناس بصرف النظر عن ألوانهم وجنسياتهم وعقائدهم وطبقاتهم إنه دين المحبة والإخاء والوفاء والتسامح والعدل ، وعلى الناس جميعا أن يستمسكوا بعرى الأخوة الحقة لأنه بدونها لا يمكن للعالم أن يعرف معنى المحبة أو معنى التسامح .[٣]

ومن خصائص قيم التسامح الإسلامى أنها تقوم على المساواة بين الناس والحرية الشخصية ، والعدل ، ومراعاة البعد الأخلاقى فى العلاقات الدولية .

فمن حيث المساواة فالدين الإسلامى لا يفرق بين أبيض وأسود ولا عجمى ولا عربى إلا بالتقوى والعمل الصالح ، ويحترم كرامة الإنسان

---

(١) الهيثمى : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب البر والصلة ، ج٨ ، ص١٦٩ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، باب القيام للجنازة ، ص١٨٢ – ١٨٣ .

(٣) د. محمد ظفر الله خان : الإسلام والإنسان المعاصر ، ترجمة د. محمد جلال شرف ، ١٩٨٠ ، ص٢١٢ ، وانظر أيضا – د . خليفة حسين العسال: التسامح الديني في الإسلام ضمن المؤتمر الدولى السابع للفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ، أبريل ، ٢٠٠٢ ، ص٦١٧ .

مهما كان عبدا أو سيدا ، وترك أيضا للإنسان حرية الاعتقـاد ، وحريـة القول والرأى ، وحرية اختيار حكامه وغير ذلك من قيم التسامح .

٤- قيم الحــق

الحق والبـاطل طرفـان متقـابلان لا يخلـو عمـل مـن أعمـال الإنسان من الخضوع لأحدهما ، فمن خصائصـهما أنـهما لا يجتمعـان معا فإما حق وإما باطل ، ولذلـك لا يخلـو عمـل مـن قيمـة مـا دام المرء ينمو نحو أحد هذين القطبين فكل مـا دار بيـن قطبيـن متقـابلين فهو من جملـة القيـم كـالخير والشـر ، والجمـال والقبـح ، والعـدل والظلم والتقوى والفجور وغير ذلـك .

والحق والبـاطل يطلقـان علـى الاعتقـادات ومنـها الاعتقـادات الدينية ، بينما الصـدق والكـذب يسـتخدمان فـي الأقـوال والأخبـار والصواب والخطأ يختصان بالقضايا والأحكـام ومـا يتصـل بـها مـن أقيسة وبراهين واستنتاجات، والصحيح والفاسـد يـدلان علـي الأشـياء الخارجيـة .

والحق صفة العقائد ، والعقيدة هـي كـل مـا يعتقـده الفـرد مـن الآراء السياسية أو الدينية أو الأخلاقيـة أو الأدبيـة..إلـخ . والحـق إذا كان خارجا عنا فهو ثابت ، غير متغير ، والـذى يتغـير هـو معرفتنـا له ، فبعضنا يصل إلي درجـة مـن درجـات الحـق أو مظـهر مـن مظاهره أو جانب مـن جوانبـه ، ويقـف عنـد ذلـك الحـد لا يتعـداه ويعتقد أنه الحق كل الحـق .

وأعلى درجات الحق هـو " الله " سـبحانه وتعـالى ، فـهو الحـق الأول ، الحق الذى لا حق وراءه ولا أمامه وسـائر الحقـائق وجودهـا منه وتستعين فى بقائها وحياتها عليه ، ولـهذا كـان الحـق اسـما مـن أسماء الله الحسـنى ويـرى " الغزالـى " أن الحـق يقـال فـى مقابلـة البـاطل ، وأن الأشـياء تسـتبين بأضدادهـا ، والحـق المطلـق هـو الموجود الحقيقى بذاته ، أو الحق الأول علـي حسـب رأى الكنـدى[1]، وهو صفة الدين كما جـاء فـى قولـه تعـالى : ﴿ **هـو الـذى أرسـل رسوله بالهدي ودين الحق** ﴾ [2]، وقيمة الحـق الدينيـة تختلـف عـن قيـم الحـق المنطقيـة أو الفلسـفية ، فـالأولى مصدرهـا الله سـبحانه وتعالى ، والثانية مصدرها العقل الإنسـانى . والفـرق كبـير بيـن مـا هو مصدره الله تعالى عما هو مصدره الإنسـان ، وعلـى الرغـم مـن أهمية هذه القيم إلا أننا نجد هجوما عليها فـى محاولـة للقضـاء عليـها ؛ ولذلك يمكن القول بأن القيم الدينيـة بوجـه عـام والقيـم الإسـلامية بوجه خاص تمر بأزمة حقيقيـة .

رابعا : أزمة القيم الدينيـة

تمر القيم الدينية بأزمة حقيقية في وقتنا الحـاضر ، ربمـا لـم تمـر بها من قبل . وتتمثل هذه الأزمة فـى محاولـة للطغيـان عليـها إمـا لمحوها أو إضعافها أو بنبذهـا واسـتبدالها بقيـم العصـر التـى تتسـم

---

(١) د. أحمد فؤاد الأهوانى : القيم الروحية، ص٦٧ – ٧٢ .

(٢) التوبة : ٣٣ .

بالأنانية والمنفعة، والماديـــة الخالصـــة، وقـد أدى هـذا إلـى محاولـة طغيان المادة على الـــروح ، والعمـل علـى النظـر، والحـس علـى العقل ، والآلة مكان الإنســان...إلـخ . وكـانت نتيجـة هـذا الـهجوم الشرس أن القيم المادية التى كانت نتـاج التقـدم المـادى والتكنولوجـى الذي وصل إليه الإنســان الغربـى فـى القـرون الأخـيرة لـم تحقـق التوازن النفسى والوجدانى الذى رسـمه الإنسـان لنفسـه، بـل اهـتزت القيم بداخله وتضاءلت ، وأصبح كل ما يهمه هـو المـادة ومـا ينتـج عنها ، ولا يـرى إلا ذاتـه ، ولا يسـمع إلا صوتـه ، وطغـت القيـم المادية علي القيم الروحية ، وضعفت القيم الروحية التـى مـن واجبـها الحفاظ على الترابط الاجتماعى ، كمـا طغـت الذاتيـة الفرديـة علـى المصلحة العامة علـى مسـتوى الفـرد والمجتمـع وعلـى المسـتوى الدولى ، وأوضح مثال على ذلـك مـا يمارسـه الغـرب مـن طغيـان وسيطرة وهيمنة على شـعوب العـالم الثـالث بسـبب تقدمـه المـادى والتقنى على قيمه الروحية والدينيـة .

ومما يؤسف له أن الأزمة التـى واجـهت القيـم الدينيـة لـم يكـن سببها غير المسلمين فقط ، بل كان وراءهـا البعـض مـن المسـلمين ممن وجدوا في عصور التقليد والضعف ممن لـم يفـهموا معنـى القيـم الدينية علي حقيقتها ، بـل نقلوهـا إلـى معـان ليسـت مـن الإسـلام الصحيح فى شئ ، ومن هذه القيم الجليلة التـى عمـت بصـائر بعـض المسلمين وغير المسلمين ، عنها قيم الإيمان ؛ فعلـى الرغـم مـن أننـا جميعا مؤمنون ولكن ينطبـق علـى الغالبيـة قولـه تعـالى: ﴿ **قـالت**

الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم ﴾ .[1] فالإيمان عند هؤلاء الأعراب ما هو إلا اسم فقط ومن هذه القيم التى لم يفهموها على حقيقتها قيم التقوى والرحمة والتسامح والحرية والعدالة .. وغيرها ، فقد فهموا على سبيل المثال قيم الرحمة على أنها تهاون فى العقاب والإسراف فى الثواب . وفهموا قيم التسامح على أنها ضعف وخضوع الأضعف للأقوى ، مع أن مبدأ الإسلام ينهى عن الإسراف ويأمر بعدم التفريط ، وينهى عن الخضوع والضعف لأنه دين يقوم على الاعتدال والتوسط والعدل .[2]

كما كانت القيم الإسلامية هدفا للطعن من بعض المستشرقين ممن زعموا أن قيم ومبادئ الإسلام ــ إلا قليلا منها ــ قد استعيرت من اليهودية والمسيحية ، وتوهم بعضهم أنها قيم يمكن أن تتلخص فى عبادة التخيير بين القرآن والسيف ، وزعم آخرون أنها قيم لا يسمع فيها صوت الضمير والوجدان . ومن أمثال هؤلاء " كاردافوا " الذى ذهب إلى أن مبادئ الأخلاق الإسلامية مبادئ موضوعية ، يعنى أنها برانية ومن الخارج ، ولا يرى فيها الضمير

---

(١) الحجرات : ١٤ .

(٢) د. أحمد فؤاد الأهواني: القيم الروحية في الإسلام ، ص١٣٩ .

شارعا بباعث جوانى في البحث عن القـــانون ، ولا يمكـــن أن توضـــع الأخلاق الإسلامية إلا فى مرتبـــة ســـفلى .[1]

كما ادعى بعض المغرضيــــن : " أن القيــم الإســلامية لــم تكــن حية فاعلة في التاريخ الإسلامى ، وأن صلـــة المســلمين بقيــم إســلامهم قد انتهت بموت خليفة أو سقوط دولة ." [2] ومـــن ذلــك يتبيــن لـــهم أن القيم الإسلامية قيم متغيرة وغير ثابتة ، وبالتـــالي نســبية شـــأنها شـــأن القيم الإنسانية. ومن المفاهيم الخاطئة ، فـــهم بعــض الغربييــن أن أحــد أسباب التدهور فى العالم الإسلامى هـــو التمســك بقيــم ذلــك الديــن ، لأن الإسلام لم يعرف حتى اليـــوم ظـــاهرة التجديــد والتحديــث بســبب تمسكه بهذه القيم الجامدة الباليـــة .[3]

ومن أسباب أزمـــة القيــم الإســلامية محاولـــة بعــض الغربييــن تدمير هذه القيم من أمثـــال القــس " صموئيــل زويمــر" الــذى رأى أن مهمة التبشير ليست فـــى إدخـــال المســلمين فـــى المســيحية لأن هــذا حسب رأيه هداية لهم وتكريـــم ، بـــل المهمـــة الحقيقيـــة هـــى إخـــراج المسلمين من إسلامهم ليصبحوا دمى لا صلـــة لـــهم بـــالله ولا بـــالدين ، وبالتالى لا صلة تربطـــهم بـــالأخلاق ، ولا بـــالقيم التـــى تعمـــل عليـــها

---

(١) د. عثمان أمين: الجوانية ، دار القلم ، ١٩٦٣ ،ص١٨٧ .

(٢) د. عبد الحليم عويس: القيم الإسلامية في تاريخ المسلمين، المجلس الأعلـــي للشـــئون الإسلامية، العدد ٩٤ ، ذو الحجة ، ١٤٢٣ هـــ ، فبراير ٢٠٠٢ م ، ص٤ .

(٣) د. حامد ربيع: الإسلام والقـــوي الدوليـــة، دار الموقـــف العربـــي ، ط١ ، ١٩٨١ ، ص١٥ .

الأمم فى حياتها . ويهدف " زويمر " من ذلك إلـــى إبعـــاد المســـلم عـــن أى خلق إسلامى ، بل يصبح لا يقدر عظـــائم الأمـــور ويحـــب الراحـــة والكسل ويســـعى للحصـــول علـــى الشـــهوات بـــأى أســـلوب ، حتـــى أصبحـــت الشـــهوات والملـــذات هدفـــه فـــى الحيـــاة ، فـــهو إن تعلـــم فللحصول على الشـــهوات ، وإذا جمـــع المـــال فللشـــهوات ، وإذا تبـــوأ أسمى المراكـــز ففـــى ســـبيل الشـــهوات ، ورأى " زويمـــر " أن أهـــم الأساليب للوصول إلى تدمير.. قيم وأخـــلاق المســـلم وشـــخصيته يمكـــن أن يتم بنشر التعليم العلمانى ، ولهذا شجع على إنشـــاء المـــدارس التـــى هى على النمط الغربى العلمـــانى ، وحـــاول الغـــرب غـــرس العلمانيـــة عن طريق التعليم وغيره مـــن الوســـائل مـــن إعـــلام و بعثـــات وغـــير ذلـك .(1)

وبينما نرى هذه الحملة الشديدة والعنيفة ضـــد القيـــم الدينيـــة نجـــد فى الجانب الآخر دعوة من جـــانب بعـــض الغربييـــن المعتدليـــن إلـــى الدفاع عن أزمة القيم الدينيـــة فقـــد ذهـــب العـــالم الطبيعـــى الأمريكـــى " روبرت ميلكان "– إلى : " أن أهـــم أمـــر فـــى الحيـــاة هـــو الإيمـــان بحقيقة المعنويات وقيمة الأخلاقيـــات ، لقـــد كـــان زوال هـــذا الإيمـــان سببا للحرب العالمية ، وإذا لم نجتـــهد الآن لاكتســـابه أو لتقويمـــه فلـــن

---

(1) جلال العالم : قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهلـــه ، المختـــار الإســـلامى للنشر والتوزيع ، ١٩٨٥م ، ص٤٦ – ٤٧ .

يبقى للعالم قيمة بل يصير العلم نكبة علـــى البشــرية ." [1] كمــا ذهــب الدكتور "ويلسون " أحد رؤساء الولايــات المتحــدة الأمريكيــة الســابقين إلى أن : " خلاصة المسألة أن حضارتنا إن لــم تنقــذ بالمعنويــات فلــن تستطيع المثابرة على البقاء بماديتها ، وإنـــــها لا يمكــن أن تنجــو إلا إذا سرت الروح فى جميع مسامها ، وذلـــك هــو الأمــر الــذى يجــب أن تتنافس فيه معابدنـــا وتنظيماتنـــا السياســية وأصحــاب رؤوس أموالنــا محل فرد خائف من الله محــب لبلــده " . [2]

وليت الحكماء فى الغرب يفـــهمون ذلــك ويعــون الــدرس قبــل فوات الأوان ، وليتنا أيضـــا نفيــق مــن غفوتنــا ونعــود إلــى قيمنــا الأصيلة ، ولا نجرى وراء قيم وأنظمة العولمــة وثقافتــها التــى تنتــهى بنا إلى الهاوية حتى لو وصلنا إلى أعلـــى مرتبــة بعلمنــا وتكنولوجيتنــا فهى لا تغنى عن القيم الروحية بشئ فما هى هذه العولمـــة ؟ ومــا هــى ثقافتها . ؟ ذلك ما سوف نوضحه فى الفصـــول التاليــة .

---

(١) د. بركات مراد: ظاهرة العولمة، ص١٦٨ .

(٢) د. موسى أبو الريش: العولمة والمستقبل، مجلة الكلمة ، العدد ٢٥ خريــف ١٩٩٩ ، ص١١١ .

الفصل الثالث

مفهوم العولمة وعوامل وتاريخ نشأتها

لم يتفق الجميع حول تعريف محدد للعولمة بل اختلفت الآراء وتعددت كما اختلفوا في تحديد نشأتها وعوامل ظهورها ، فمن حيث مفهومها كان الاختلاف والاتفاق على النحو التالي :

<u>أولاً</u>: مفهوم العولمة لغة:

ذهب البعض إلى أن لفظ عولمة ظهر أول ما ظهر في اللغة الإنجليزية في عام ١٩٦١م ، ورأى البعض الآخر أنه لم يكن موجوداً قبل منتصف الثمانينيات ، وأن قاموس أكسفورد أشار إلى هذا المصطلح للمرة الأولى عام ١٩٩١م، وهو Globalization بمعنى الكونية ، والعالمية والشمولية وتشير دلالة أو معنى هذه الكلمات إلى معنى مشترك هو تعميم الشئ وتوسيع دائرة استخدامه بمعنى أنه إذا حدثت الدعوة إلى العولمة من بلد ما أو جماعة معينة، فإنها تعني نشر النمط الثقافي والسياسي والاقتصادي الذي يخص ذلك البلد بحيث يسود في النهاية العالم كله. [1]

---

(١) د. محمد عابد الجابري : العولمة والهوية الثقافية، المستقبل العربي، السنة العشرون، العدد ٢٢٨، فبراير ١٩٩٨ ص١٧ . د. فتحي درويش محمد عيشبة: الثقافة الإسلامية للطفل كأحد متطلبات التعامل مع العولمة، المؤتمر الدولي الرابع للفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم – جامعة =

وفى اللغة الفرنسية تعنـــى كلمـــة " Mondialisution " جعـــل الشئ على مســـتوى عـــالمى، أى نقلـــه مـــن المحـــدود المراقـــب إلـــى اللامحدود الذى ينأى عن كل مراقبة، والمحـــــدود هـــو الدولـــة القوميـــة التى تميز بحدود جغرافية وبمراقبـــة صارمـــة علـــى كـــل المســـتويات، أما اللامحدود فالمقصود به العـــالم كلـــه .(١)

أما عن مفهومها فى اللغة العربيـــة فقـــد رأى البعـــض أنـــه يمكـــن قياسها على وزن " فوعلة " ومأخوذة مـــن " عولـــم " بـــوزن " فوعـــل " وهو من الأوزان الصرفية الدالة على القســـر والإجبـــار، وهنـــاك مـــن حدد معنى " فوعلة " بأنها نموذج محدد عمـــم علـــى المســـتوى العـــالمى أو هى إكساب الشئ طابع العالميـــــة. (٢)

ثانياً: العولمة اصطلاحـــاً:

أخذت العولمة عدة مفـــاهيم وتختلـــف هـــذه المفـــاهيم مـــن حيـــث الشكل والمضمون والهدف، فمـــن حيـــث الـــهدف فـــهى تـــأخذ المعنـــى المأثور " ظاهره الرحمة وباطنـــه العـــذاب " نظـــراً لأنـــها تعنـــى فـــى الظـــاهر والمعلـــن أنـــها : نظـــام عـــالمى جديـــد يقـــوم علـــى العقـــل

= القاهرة ١٩٩٩، ص٤٥٧ . انظر: أحمد عباس عبد البديع: ظاهرة العولمة بين الحقيقة والوهـــم، جريدة الأهرام المصرية في ١٩٩٨/٢/٧، ص٢٣ .

(١) د. عبد الفتاح الفاوى : العولمة وموقف الإسلام منها المؤتمر الدولى الرابع للفلســـفة الإسلامية – دار العلوم، ١٩٩٩ ، ص١٤٩ .

(٢) د. فتحى درويش محمد عيشبة : الثقافة الإسلامية للطفل، مرجع سابق ، ص٤٥٨ .

الإلكـــترونى والثـــورة المعلوماتيـــة القائمـــة علـــى التقنيـــة الحديثـــــة، وتكنولوجيا المعلومات غير المحدودة بهدف جعل الكـــــون قريـــة واحـــدة وتحت نظام عالمى واحد يســـعى إلـــى فـــرض المســـاواة والديمقراطيـــة بيـــن الـــدول دون اعتبـــار للأنظمـــة والحضـــارات والثقافـــات والقيـــم المحلية والحدود الجغرافية والسياسية القائمـــــة فـــى العـــالم ، هـــذا هـــو المعنى الظـــاهر.

أما المعنى الباطن فهى أحـــــد أنظمـــة الهيمنـــة الغربيـــة الجديـــدة التى تعبر عن المركزية الأوروبية الأمريكيـــــة فـــى العصـــر الحديـــث ، وهذه المركزية التـــي تقـــوم علـــى مبـــدأ العنصريـــة الغربيـــة، وعلـــي الرغبة في الهيمنـــــة والســـيطرة مـــن جـــانب واحـــد – الأقـــوى ضـــد الأضعف– الغني ضد الفقـــير– العـــالم ضـــد الجـــاهل–الأبيـــض ضـــد الأسود–الغربى ضد العربى– اليهودى ضـــــد المســـلم– كمـــا هـــو فـــى تعامل الولايات المتحدة الأمريكية مع الأفارقـــة والـــهنود الحمـــر، ومـــع إسرائيل ضد العـــــرب . وفـــى أفغانســـتان ، والعـــراق وجميـــع بلـــدان العالم الثـــالث .

وقد بدأت هذه الهيمنة منذ الكشوف الجغرافية فـــــى القـــرن الخـــامس عشر. والتى تتمثل فـــــى : " خلـــق مفـــاهيم جديـــدة وزراعتـــها خـــارج حدودها مثل العولمة، العالم ذو القطب الواحد، اتفاقيـــــة الجـــات ، نهايـــة التاريخ ، صـــــــراع الحضـــارات، الإدارة العليـــا ، ثـــورة الاتصـــالات،

العـــالم قريـــة واحـــدة ، الكونيـــة " [1] مكافحـــة الإرهـــــاب، نشـــــر الديمقراطية – حقوق الإنسان – حقوق المـــرأة، إلـــى غـــير ذلـــك مـــن المفاهيم غير البريئة، والتي تكشـــــف محاولـــة ســـيطرة المركـــز علـــى الأطراف، وتجعل المثقفين في العالم الثـــالث يلـــهثون وراءهـــا بالشـــرح والتعليق والتـــهميش .

والعولمة في أدق معانيها : " فعل اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي على سائر الثقافات أو السيطرة الثقافية الغربية على ســـائر الثقافـــات بواســـطة استثمار مكتسبات العلوم والثقافة في ميدان الاتصال " [2]وهذا الاغتصـــــاب هو الذي يؤدي إلى تفجير العنصرية الذي يقابله ثورة المظلومين، والتـــــي تأخذ أشكالا شتى معظمها خارج الضبط ، وهذه الثورة تأتي بسبب إلغـــــاء الثقافات الوطنية والدينية والقومية والخصوصيات الإنسانية، سواء بشـــكل مباشر وصريح أو بشكل ارتداء القناع الاقتصادي ، لكنه مشـــبع بالرؤيـــة الثقافية التي ترافق أدواته ومخترعاته وإنتاجه وعاداته وأنماط استهلاكه.[3]

بهذا المفهوم فهي محاولة فرض نموذج معين من الثقافة الاســـتهلاكية الموجهة أساساً لدعم العمل الاقتصادي والتجاري والسياسي والعسكري من خلال نشر تكنولوجيا المعلومات وصناعة السينما والفنون المختلفة، والتـــي

---

(١) د. حسن حنفي: الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية، الإشكال النظري، المؤتمـر الدولي الرابع للفلسفة الإسلامية ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ١٩٩٩ ، ص٣٤٠ .

(٢) د. عمر عبيد حسنة : مقدمة كتاب ظاهرة العولمة، رؤية جديدة لـ د. بركات محمـد مراد ، كتاب الأمة، الكويت ، العدد ٨٦ ،١٤٢٢هـ ، ص٤٣ .

(٣) م . السابق ، ص٢٤ .

قد تتفق أو تختلف مع هويات الدول التى تحاول غرسـها فيـها . ولـهذا وصفها " روجيه جارودى " بأنها : " قطبية فى العلاقات الدوليـة وضـد الهويات الثقافية أو الدينية لكل الحضارات الأخرى " [(١)] مستعينة فى ذلـك بالتكنولوجيا المعاصرة والتقنية الإعلامية فـى تصديـر الثقافـة الغربيـة الجاهزة التى تغزو العالم كله بهدف تدمير ثقافة الشعوب الخاصة وعرفـها د. مصطفى محمود بأنها : " مصطلح بدأ لينتهى بتفريـغ المواطـن مـن وطنيته وقوميته وانتمائه الدينى والاجتماعى والسياسى بحيث لا يبقى منـه إلا خادم للقوى الكبرى " [(٢)] ومن هنا فإنه من الممكن وصف العولمة بأنـها القوى التى لا يمكن السيطرة عليها في الأسواق الدولية والشركات المتعددة الجنسيات ، والتى ليس لها ولاء لأى دولة قومية لأنها قائمة على مذهـب الغاية تبرر الوسيلة، والتى تعد من أهم مبادئ الفلسفة البرجماتية .

ثالثاً: الفرق بين العولمة والعالميـة والعلمانيـة:

حاول البعض التوحيد بين العولمة والعالمية والعلمانية. ولكـن هـذه المحاولة محكوم عليها بالفشل نظرا للاختلاف البّيـن بيـن معـانى كـل مصطلح ، وإن اتفق فى الشكل فالاختلاف في المضمون والهدف واضح .

---

(١) روجيه جارودي : الولايات المتحدة طليعة الانحطاط ، ترجمة مروان حمـدي ، دار الكتاب ، دمشق، ١٩٩٨ ، ص١٦ .

(٢) د. مصطفي محمود: مجلة الإسلام وطن، العدد ١٣٨ ، يونيه ، عام ١٩٩٨، ص١٢.

فالعالمية تختلف عـــن العولمـــة مضمونـــاً وهدفـــاً ، نظـــراً لأن نظـــام العولمة لا يتحقق إلا فى ظل تنميط الشـــعوب وتوحيـــد الأذواق وإلغـــاء النماذج وفرض الاختيارات بالقوة بما يؤدى إلـــى وجـــود صـــرا عـــات بين الأمم والحضارات ، وهى لا تهدف إلـــى توخـــى العدالـــة والحيـــاد كما تدعى ، وما هى إلا محاولات للهيمنـــة والتغريـــب وتعميـــم الهويـــة الثقافية الأقوى وفرضها على كل بلدان العـــالم الفقـــيرة بـــالقوة .

أما هدف العالمية فهو تقريب العـــالم وتفـــاعل دولـــه مـــع بعضـــها البعض تفاعلا إيجابياً ، ورسم صورة نموذجيـــة للعـــالم أجمـــع لا يظلـــم فيها أحد ، وهذا النموذج للعالمية متمثـــل فـــى عالميـــة الإســـلام الـــذى كان هدفه نشر القيـــم الإنســـانية والمبـــادئ الأخلاقيـــة والحفـــاظ علـــى الكرامة الإنسانية لكل البشر، ويهدف أيضـــاً إلـــى تـــأكيد حـــق الجميـــع فى الحريـــة والمســـاواة وحمايـــة حقـــوق الإنســـان حســـب المعتقـــدات الدينية ، ومن خلال فـــرض العدالـــة الســـماوية، ولقـــد قـــامت عالميـــة الإسلام على أركان ثلاثة هى : الديـــن والخلـــق والعلـــم علـــى العكـــس من العولمة ، فقد ربطت عالمية الإسلام بيـــن الديـــن والخلـــق ، فـــالدين هو الذى ينظم الأمور فى حياة الفـــرد إذا مـــا الـــتزم بـــالأمر الإلـــهى ، والخلق نظام الخـــيرات والمنـــافع ، والعلـــم ربـــاط للجميـــع لأن الديـــن بالعلم يصح ، والخلق بـــالعلم يظـــهر، والعلـــم بـــالعمل يكمـــل فبأيـــهما نصل إلى الكمال وننال ما نسمو إليه، كمـــا أن عالميـــة الإســـلام قـــامت علي القاسم المشترك بين حضـــارات العـــالم فقبلـــت الآخـــر وتفـــاعلت معه أخذاً وعطاء، بل إن عالمية الإسلام تعـــاملت مـــع الاختـــلاف بيـــن

البشر باعتباره من حقائق الكون وسننه العالمية بقصـــد إســلامى يعنـــى بالتعدد والتنوع والتمايز والاختلاف، بينما العولمـــة تعنـــى صـــب الكـــل فى قالب واحد وصبغ الكل بصبغـــة واحـــدة . (١)

أما العلاقة بين العلمانية والعولمة فـــالمعنى والـــهدف قريـــب مـــع بعض الاختلاف ، فالعلمانيـــة تنسـب إلـــى غـير قيـــاس إلـــى العـــالم والعلمانيـــة "Secularism " هى نظـــام مـــن المبـــادئ والتطبيقـــات يرفض كل صورة من صور الإيمان الدينـــى والعبـــادة الدينيـــة، وهـــى عبارة عن اعتقاد بالفصل بين الدين والدولـــة، والتحـــول إلـــى العلمانيـــة هو التحول من الملكية الدينية إلـــى الملكيـــة المدنيـــة بمعنـــى التخلـــص مـــن ســـلطة الرهبنـــة والتحـــول إلـــى الانتمـــاء المدنـــى والتطـــــور التكنولوجى . والعلمانيـــة ليســـت فيـــها قداســـة(٢) وهى حركـــة فكريـــة واجتماعية تهدف إلى صـــرف النـــاس عـــن كـــل مـــا هـــو دينـــى .(٣) وتحولهم إلي إشباع اللذات والرغبات والعواطف الإنســـانية بعيـــداً عـــن كل قيم ومبادئ ثابتة ، وهذا هدف مـــن أهـــداف العولمـــة المعـــاصرة ،

---

(١) د. عبد الحفيظ عبد الرحيم محبوب: الإسلام والغرب، المؤتمر الدولي السادس للفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم، ٢٠٠٢ ، ص٣١٥ .

(٢) د. محمد البهى : العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق، مجمع البحوث الإســـلامية، ١٩٧٦ ، ص٧ – ٨ .

(٣) محمد المصرى : موقف أهل الســـنة والجماعـــة مـــن العلمانيـــة ، دار طيبـــة ط١، ١٤١١هـ ، هامش ص١١ .

ومن هنا يمكن القول أن العولمة هى البديل عن نظام العلمانية أو امتداد لها أو صورة منها .

رابعاً: نشأة العولمة:

من أوجه الاختلاف حول مكان وزمان نشأة العولمة ما رآه البعض أنها مصطلح حديث ظهر في نهاية القرن العشرين بينما ذهب د. عبد الفتاح الفاوى إلى أن ظاهرة العولمة قديمة قدم التاريخ متمثلة فى العولمة اليونانية والعولمة الرومانية والعولمة العربية[١] ويرى د. حسن حنفى أنها تمثل شكلاً من أشكال الاستعمار وهى قديمة ويشاركه فى هذا الرأى د. محمد عابد الجابرى ، وعبد الله بلقويز .[٢]

ويستند أصحاب هذا الرأي بأن العولمة قديمة إلى التوحيد بين العالمية التى تمثلت فى الحضارة اليونانية والرومانية والإسلامية وبين العولمة المعاصرة ، وهذا التوحيد فيه شئ من خلط المفاهيم ؛ لأن الفرق كبير بين عالمية الإسلام والعولمة الأمريكية.

أما العولمة بمعناها المعاصر والتى تعنى الهيمنة والسيطرة على كل وسائل الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتربوية ، فأول من أطلق عليها هذا اللفظ هو العالم السيسولوجى " الكندى " مارشال ماك

---

(١) د. عبد الفتاح الفاوى : العولمة وموقف الإسلام منها ، م سابق ، ص١٥٠ .

(٢) د. بركات محمود مراد: ظاهرة العولمة ، ص١٢٦ .

لوهان أستاذ الإعلاميات فى جامعة تورنتو عندما صاغ فى نهاية الستينيات مفهوم القرية الكونية ثـــم شـــاع اســـتخدام لفــظ Globalization فى السنوات الأخيرة بعد سقوط الاتحاد السوفيتى . [1] وممـــــا ســـاعد علـــي انتشارها فى ستينيات القرن العشرين ، تطور وســـــائل الإنتـــاج وظــــهور اقتصاديات قوية بالإضافة إلى التقدم العلمى السريع فى وسائل الاتصـــــال، وما ارتبط به من نمو فى تبادل المعلومات والأفكار فضلا عن الشـــــركات متعددة الجنسيات.[2]

وسواء كانت فكرة العولمة قديمة أم حديثة فإنـــه لكـــي تصـــل إلـــى ما وصلت إليه الآن لا بد أن تمر بمراحل ، وقد حدد " رولاند روبركشو " هذه المراحل التى تحدد نشأة العولمة في خمس مراحل هى [3]:

١-مرحلة الجنينية: والتي بـــدأت منـــذ القـــرن الخـــامس عشـــر حتى القرن الثامن عشر بنمو المجتمعات القوميـــــة، ومحاولـــة التغلـــب

---

(١) د. عبد الفتاح الفاوى : العولمة وموقف الإسلام منها ، م سابق ، ص١٥١ .

(٢) د. علي الدين هلال: قضايا ومفاهيم جديدة، الشــــمال والجنــوب، مجلـــة المســـتقبل العربي ، العدد ٢٠١ نوفمبر ١٩٨٥، ص٩٠

وجلال أمين: العولمة ، سلسلة اقرأ، دار المعارف، القـــاهرة، العـــدد ٦٣٦ ،ط٢، ١٩٩٨، ص١٤- ١٧ .

(٣) رولاند روبركشوف : تخطيط الوضع الكوني العولمة باعتبارها المفهوم الرئيسى فـــي الثقافة الكونية: القومية والكونية والحداثة تحرير " فيدرستون " دار نشر ســياج ، ١٩٩٢ ، ص١٥ - ٣٠ .

- والسيد ياسين : العولمة والطريق الثالث مكتبة الأسرة ،١٩٩٩ ، ص٢٤ - ٢٧ .

على القيود التى كانت سائدة فى القرون الوسطى مع محاولة إطلاق حرية الفرد، وبداية التقدم فى ظل الثورة الصناعية.

٢-مرحلة النشوء : بدأت فى أوروبا منذ حوالى منتصف القرن الثامن حتي ١٨٧٠م ، بالتفكير فى قيام الدولة المتجانسة الموحدة وقيام القومية العالمية وبلورة المفاهيم الخاصة بالعلاقات الدولية، وإنشاء مفاهيم أكثر تحديداً للإنسانية مثل مفاهيم الحرية ، والديمقراطية، وحقوق الإنسان...إلخ .

٣-مرحلة الانطلاق: استمرت من عام ١٨٧٠ حتى العشرينيات من القرن العشرين التى تطورت فيها المفاهيم الكونية مثل : خط التطور الصحيح، والمجتمع القومى " المقبول " والهوية القومية والفردية ، ومحاولة دمج المجتمعات غير الأوروبية فى المجتمع الدولى ، وساعد على ذلك بداية التطور السريع وظهرت بعض مظاهر العولمة الجديدة مثل: الألعاب الأولمبية، وجوائز نوبل وعصبة الأمم المتحدة ومجلس الأمن..إلخ .

٤-***مرحلة الصراع من أجل الهيمنة***: وبدأت هذه المرحلة منذ العشرينيات حتى منتصف الستينيات من القرن العشرين ، بالخلافات والحروب والصراعات الفكرية حول كثير من مظاهر العولمة ، وتم التركيز في هذه المرحلة على الموضوعات الإنسانية بحكم حوادث الهولوكست وإلقاء القنبلة الذرية على اليابان وبروز دور الأمم المتحدة .

٥-*مرحلة عدم اليقين*: والتي بدأت منذ أن انتهت المرحلة السابقة في الستينيات من القرن الماضي بمحاولة إدماج العالم الثالث في المجتمع العالمي ، وقد نجحت مع البعض وأخفقت مع البعض الآخر، وساعد على ازدهار نشاط العولمة في المرحلة الأخيرة ثورة الاتصالات والمعلومات ، وهبوط الإنسان على سطح القمر، ونهاية الحرب الباردة بعد سقوط الاتحاد السوفيتي ، وانتشار الأسلحة الذرية والنووية، التي ترهب دول الأطراف وتعددت الثقافات والسلالات داخل المجتمع الواحد وأصبحت المفاهيم أكثر تعقيدا وانتهى النظام الثنائي القومي ، وحل محله المجتمع الدولي العالمي، والمواطنة العالمية وأصبح هناك شبه سيطرة كاملة من دول المحور على دول الأطراف، ولا ندري ما إذا كانت ستؤدي بنا العولمة المستقبلية وبالذات دول الأطراف التي لا حول لها ولا قوة إلى الخضوع والاتباع وفرض الولاء والطاعة للقوى الكبرى التي تتحكم في العالم أجمع، وأدت المرحلة التي وصلت إليها العولمة وهي مرحلة عدم اليقين إلى نجاح الولايات المتحدة الأمريكية في السيطرة الاقتصادية والعسكرية والسياسية والثقافية وعلى جميع مقررات الأمور في معظم دول العالم .

خامساً: عوامل ظهور العولمـــة:

ترجع عوامل انتشار العولمة وظـــهورها علـــى هـــذه الصـــورة التي نراها عليها من هيمنة وسيطرة إلى كثير مـــن العوامـــل منـــها :

١- التطور العلمى الـــذى اكتســـح أنظمـــة العـــالم المتقـــدم منـــذ التســـعينيات خاصـــة الولايـــات المتحـــدة الأمريكيـــة وبعـــض الـــدول الأوروبية، هذا التطور الذى يعد القوة المحركـــة لكـــل أنظمـــة العولمـــة الاقتصادية والسياسية والثقافية والعسكرية، وممـــا لا شـــك فيـــه أن هـــذا التطور العلمى والتقنى لـــدول المركـــز أعطـــى لـــها رخصـــة الهيمنـــة والسيطرة على أغلب وســـائل الاقتصـــاد واحتكـــار رأس المـــال ، وقـــد تحقق ذلك فـــى احتكـــار الولايـــات المتحـــدة الأمريكيـــة وبعـــض دول أوروبا لصنـــدوق البنـــك الدولـــى ، وكـــذا اتفاقيـــة الجـــات " التجـــارة العالمية " كما جعـــل دول المركـــز تتحكـــم فـــى سياســـة وثقافـــة دول الأطراف ونفس الأمر فى قوتـــها العســـكرية.

٢-تفكك الاتحاد السوفيتى وانهيار الكتلة الشـــرقية المرتبطـــة بـــه [١٩٨٩ - ١٩٩٠] مما ساعد على ظهور القوى العظمى وجعلها تســـعى بكل قوتها إلى الترويج للنظام الاقتصادى والثقافى الذى تعتنقـــه مصحوبـــا بكل خصائصه على المستوى السياسى والثقافى والأخلاقى، وبـــدأت فـــى الظهور تلك النظريات والأفكار التى تبشر بسيادة هذا النظام وهزيمة كـــل ما سواه من النظم السياسية وبدأ من هنا الترويج لفكرة نهاية التاريخ التـــى

دعا إليها " فوكوياما " فى نهاية التاريخ وكــذا الــترويج لفكــرة صـــدام الحضارات التى دعا إليها " صمويل هنتنجتون " .

٣-القوة الهائلة التى بلغتها دول المركـــز فـــى ثـــورة المعلومـــات والاتصالات التى اخترقت ليـــس فقــط الحــدود والســدود والســماوات والأرضيات ، بل اخترقت عقول ومشاعر وعواطف الإنسان المعاصر عن طريق الاقتحام لمنازل وغرف نوم كل إنسان سواء كان برغبته أو بغـــير رغبته ، مما ساعد بل شكًل بالفعل العقلية الإنسانية ، وأنتج مفاهيم جديـــدة وغير العادات والتقاليد التى كانت سائدة عن طريق البث المباشـــر وغـــير المباشر لبرامج ما أنزل الله بها من سلطان ، لما تتميز به هذه البرامج مـن قدرة فائقة على الإقناع بل والإبهار المزيف، ولما تتميز به من قدرة علـــى التنوع المستمر مستهدفين فى ذلك مـــن البحـــوث والدراســـات النفســـية والاجتماعية التى تحدد لهم كيفية التأثير على عقلية ومشـــاعر وعواطـــف المشاهدين وجذبهم إلى حديث ما يريدون ، ويزداد هذا التأثير وقد يصـــــل إلى حد الكارثة إذا كان المجتمع الموجه إليه هذه البرامج مجتمع ضعيـــف العقيدة والقيم الدينية والثقافية مما يؤدى فى النهاية إلى محو ثقافــــة وقيـــم وعقائد المجتمع الأصلى .[١] وبالفعل حدث تـــأثير كبـــير بســـبب وجـــود خمسمائة قمر صناعى تدور حول الأرض الآن مرسلة بإشارات لا ســـلكي

---

(١) د. عبد الحميد مدكور: الدعوة الإسلامية في عصر ثورة المعلومات، المؤتمر الدولـــي الخامس للفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم – القاهرة ، ابريل ٢٠٠٠ ، ص٤٨ – ٥٧ .

يمكنها نقل ما تريد إلى من تريد[1]، ومن هنا: " تعددت الثقافــات القوميــة التى تستهدف الهيمنة على الأفراد الذين ينتمون إليها . ومازالت العولمـــة مستمرة تكشف كل يوم عن وجه جديد وأهداف جديـــدة ووســـائل جديـــدة ولا يعلم أحد إلى ما ستؤدى بنا هذه الطفرة من الهيمنة والكونية والكوكبة.

٤-تصميم اللوبى الصهيونى علـــى الســيطرة علـــى معظـــم دول العالم وبالأخص العالم العربى " الشرق الأوســـط " بمســاعدة الولايــات المتحدة ، ولهذا فهو الـــذى يرســم معظـــم خطــط الهيمنـــة الأمريكيـــة كما نشاهدها الآن في العـــراق وســـوريا وإيـــران وليبيـــا وأفغانســـتان، والبقية تأتى ، وكل هذا تحت مسمى تحقيـــق مبـــادئ العولمـــة .

---

(١) د. عبد الخالق عبد الله : العولمة جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها، مجلة عـــالم الفكر، الكويت المجلد الثاني والعشرون ، العدد الثانى ، ١٩٩٩ ، ص٧٦.

الفصل الرابع

ثقافة العولمة وعلاقتها بالدين

أولاً: ثقافة العولمة:

تتجلى مظاهر ثقافة العولمة فى انتشار بعض أنماط السلوكيات الغربية بصفة عامة – والأمريكية بصفة خاصة– فيما يتعلق بالمأكل والمشرب والملبس، والترفيه ومعظم مظاهر الثقافة من أدب ولغة ومن أخلاق وعادات وتقاليد وعقائد... إلخ.

ويقصد بثقافة العولمة تلك الثقافة التى تريد أن تفرضها دول المركز والتى من شأنها أن تهدد الخصوصيات الثقافية لأمم وشعوب الأطراف من خلال قيادة الدول المتحضرة واستحواذها علي ثقافة التجديد والحداثة ومحاولة جعل الثقافة الغربية هى الثقافة العالمية، ويتم ذلك إما بالإقناع أو بالإجبار والقوة ويؤكد ذلك " هنتنجتون " حينما رأى أن الغرب فى استطاعته كسب العالم وقيادته فى جميع المجالات ويتم ذلك ليس بتفوق أفكاره أو قيمه الدينية وإنما بسبب تفوقه فى تطبيق العنف المنظم وكثيراً ما ينسى الغربيون تلك الحقيقة ولكن غير الغربيين لا ينسونها .[1]

---

(١) صامويل هنتنجتون : صدام الحضارات ، ترجمة طلعت الشياب، تقويم د. صلاح قنصوة ، دار سطور، ١٩٩٨، ص ١١٣ ـ ١١٥ .

ولهذا عرفت ثقافة العولمة بأنها إكساب نمط ثقـــافى معيــن صبغــة العالمية ، أى نقله من بوتقة المحدود أو المحلية إلـــى العالميــة أو هـــى : " فعل اغتصاب ثقافى وعدوانى رمزى على سائر الثقافات بل هى رديــف الاختراق الثقافى الذى يجرى بالعنف المسلح بالثقافة فيهدد سيادته الثقافيــة فى سائر المجتمعات التى تبلغها العولمة " [1] ويصف د/ عاطف العراقـــى عالَمَ بأنه: " عالَم متغير، عالم يسوده الكثير من التيارات عالَم ليس به مكان للضعيف في مجال السياسة والاقتصاد والفكر." [2]

ويمكـــن تعريــف ثقافــة العولمـــة Cultural globalization بأنـــها مجموعـــة الأفكـــار والمعتقــدات والرمـــوز، وأنمـــاط التعبـــير والسلوك المختلفة التي تعد قاسما مشتركا بين مختلف الشعوب .

وتتميز ثقافة العولمة بأنها قد تؤدى بصاحبها إلى الإلحـــاد، ومعـــاداة الدين ولا تعترف بالقيم الروحية والحقائق الغيبية لأن أصحابها لا يؤمنـــون إلا بالمادة ولا يعترفون بالروح ، وتسلب مـــن الإنســـان إيمانـــه وتفقـــده الجانب الروحى الذى يميزه عن باقى المخلوقـــات، وقـــد عـــبر المفكـــر الباكستانى محمد إقبال عن حال رجل ثقافة العولمة: " بأنه يجد نفسه فـــى ورطة نظرا لأنه جعل لمذهبه الطبيعى سلطانا على قوى الطبيعة ممـــا أدى إلى سلب إيمانه، ورأى أن الإنسان العصرى قد أعشاه نشاطه العقلى عـــن

---

(١) د . فتحي محمد عيشبة : الثقافة الإسلامية للطفل ، مرجع سابق ، ص٤٥٩ .

(٢) د. عاطف العراقى : الفيلسوف ابن رشد ومستقبل الثقافة العربية دار الرشاد ،٢٠٠١، ص٢١٥ .

توجيه روحه إلى الحياة الروحانية الكاملة، ولهذا فهو فى حلبة الفكر فى صراع، وفى مضمار الحياة الاجتماعية والسياسية فى كفاح مع غيره ، كما يجد نفسه غير قادر على كبح أثرته الجارفة وحبه للمال ، وأصبح باستغراقه فى المظاهر الحسية مقطوع الصلات عن وجوده الحقيقى " . (١)

ويرى أنور الجندى أن الدول الغربية كانت حريصة عن طريق الغزو الثقافى والسياسى والاقتصادى والعسكرى، أن تنقل إلى العالم الإسلامى والأمة العربية الجوانب المطوية من ثقافته وحضارته وفكره وإغراق الفكر العربى الإسلامى بعشرات من التحديات من خلال مهاجمة الإسلام ولغته وتاريخه وقيمه، ومن خلال فرض الفلسفات المادية والإلحادية والإباحية بالقوة أحيانا وبالإغراق أحيانا أخرى .(٢)

وإذا ما قارنا بين ثقافة العولمة وثقافتنا العربية الإسلامية الأصلية نجد أن هناك فرقاً كبيراً لما تتميز به ثقافتنا العربية الإسلامية عن ثقافة العولمة على النحو التالى :

١- الثقافة العربية الإسلامية تتميز بالصبغة الدينية التى تضفى على قيمها البهجة والجمال والحق والصواب ، مع تفرقتها بين الله وخلقه وبين

---

(١) محمد إقبال: تجديد الفكر فى الإسلام ، ترجمة عباس محمود ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص١٩١ وانظر أيضا د . عبد المقصود عبد الغنى : عالمية الإسلام والعولمة ، ضمن المؤتمر الدولى الرابع للفلسفة الإسلامية ، ١٩٩٩ ، ص٣٠٤ .

(٢) أنور الجندى : التغريب أخطر تحديات فى وجه الإسلام ، دار الاعتصام ، ١٩٨٢ ، ص٢٠ .

الفكرة المطلقة وعالم التحول والزوال، وبين الحقيقة السرمدية وحوادث التاريخ. كما أنها تؤمن بعالم الشهادة وعالم الغيب ، عكس الثقافة الغربية التى لا تؤمن بأى من هذا ولا ذاك بل تؤمن بما هو مشاهد ومحسوس .

٢- تتميز الثقافة العربية الإسلامية بغرس عاطفة الانتماء عند صاحبها، بينما ثقافة العولمة تدعو إلى خلع هذه الغريزة من الإنسان المعاصر، لأنها ترى أنه لا وطن للإنسان ولا فكر وبالتالى فلا ولاء ولا انتماء.

٣- بينما تقوم ثقافة العولمة على التفريق بين ثقافة الروح وثقافة المادة وكذا تفتيت الثقافات المحلية، نجد أن الثقافة العربية تقوم على أسس الجمع بين المادة والروح رغم تعدد الروافد والبيئات والمستويات التى عاشت فيها على الرغم من محاولات التمزق التى أحدثتها القوى المنقضة على أكتاف الأمة لتقطيع أوصالها الجغرافية فى كيانات متباعدة وأحيانا متعاركة، كما يحدث للأمة على مستوى الثقافات العربية جميعها بدون استثناء. وهذا عكس ما تهدف إليه ثقافتنا من طموح وتجميع وتوحيد لا التفرقة والتمزيق من خلال المحافظة على مقوماتها الإسلامية .[1]

وقد استطاعت شعوب الأمة العربية والإسلامية بناء ثقافتها الوطنية عبر سنوات طويلة بدأت منذ الفتوحات الإسلامية، من خلال الاستعانة بتراثها الدينى والإنسانى والحضارى ، وظلت هذه

---

(١) عبد العال الحمامصى: لتحقيق التواصل العربي، مؤتمر أدباء مصر للأقاليم، ثقافة المقاومة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٦، ص٢١٧ .

الثقافة بما تحمله من مسيرات دينية وعقليـــة محافظـــة علـــى ســـلوكياتها وطقوسها التـــي تكونـــت عـــبر العصـــور، مســـتمدة أســـباب دعوتـــها وتجددها من الدين والتراث من خـــلال التربيـــة الأســـرية والمدرســـية، وتعتبر الأســـرة المســـلمة المؤسســـة الاجتماعيـــة الأولـــى التـــى تنتـــج الوجدان الثقافى بما ترسخه من قيم وما تشكله مـــن اتجاهـــات إيجابيـــة، أما المدرسة فتمثـــل الينبـــوع الثـــانى لاســـتقرار الثقافـــة فـــى إطارهـــا الجماعى ، وظلت علي هذا طوال أكثر مـــن أربعـــة عشـــر قرنـــا لكـــن للأسف جاءت ريـــح ثقافـــة العولمـــة وبمـــا أحرزتـــه مـــن تكنولوجيـــا استهلاكية ونظرة شعوب الأمـــة العربيـــة إلـــى التقـــدم المذهـــل الـــذى اقترن بمنتجات الدول الغربية الصناعيـــة والتكنولوجيـــة علـــى المثقـــف العربى لتحاول أن تجعل منه إنسانا دون هويـــة ثقافيـــة بســـبب نظرتـــه لنفسه بنظرة يســـودها الشـــعور بالدونيـــة الثقافيـــة فـــى مقـــابل الثقافـــة الغربية ، مما جعل شروط البحث عـــن مصـــادر جديـــدة لإنتـــاج القيـــم أكثر قســـاوة .(١)

ثانياً: العلاقة بين ثقافة العولمـــة والديـــن:

مرت العلاقة بين الدين والفكر الإنسانى المتمثل فى النتـــاج العقلـــى والعلمى بعدة مراحل يسودها التقارب أحيانا والتباعد أحيانا أخرى ويحـــدث

---

(١) د. عباس عبد المحسن الخفاجي : العولمة وأبعادها الاقتصادية، ضمن المؤتمر الدولى الرابع للفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٩٩، ص٣٩-٤٠ .

هذا التقارب والتباعد فى كل عصور الحضارة ففى كل العصور وجد من ينادى بالفصل بينهما ومن ينادى بالجمع، وجاء الدين الإسلامى ليجمع بين النتاج العقلى والدينى ، ثم حدث أن نما العلم وازدهر واستمر، الإنسان فى ثقته بالعلم والعقل حتى أصبحت ميتافيزيقا العلم فى الوضعية المنطقية لمدرسة فينا بديلا عن الدين، ومن ثم أفرزت صحة العلم سلسلة من الحتميات عصفت بتاريخ البشرية، حتمية تاريخية، وحتمية بيولوجية وحتمية لغوية وما شابه ذلك، حتى صاحب هذه الحتمية العلمية عدم يقين دينى إلى درجة التشكيك فى جدوى الدين، ومن الحتمية العلمية ينتقل الفكر الإنسانى إلى النسبية وعدم اليقين العلمى ولا نهائية الإشكالية المعرفية.(١)

وأدى هذا التشكيك وعدم اليقين فى الدين إلى إفراز ثقافة جديدة هى ثقافة العولمة والتى تحمل فى طياتها عقيدة تهدف إلى السيطرة والهيمنة السياسية والثقافية والعسكرية دون مراعاة لأى قيم أو مبادئ من شأنها رعاية مصلحة الضعفاء أو الفقراء أو تحقيق التكافل الاجتماعى أو المساواة بين البشر فضلا عن عدم المراعاة لأى شريعة إلهية وبالأخص الشريعة الإسلامية ، فشريعتها هى الأقوى وتحقيق المصلحة للأقوى كما زعم ذلك نيتشة ، بصرف النظر عن كون هذه المصلحة أو السعادة أو اللذة تضر بالآخرين أو لا تضر ترضى الله أم تغضبه، المهم هو تحقيق مصلحة الأقوى ، ولم تكتف أنظمة العولمة بهذا فقط، وتترك من يريد عبادة الله وتطبيق شريعته أن يعبد الله ويطبق شريعته بل حاولت أن تفرض نظامها

---

(١) د. نبيل على : الثقافة العربية فى عصر العولمة عالم المعرفة، ص٤٢٠ .

العالمى وثقافتها وشريعتها علي العالم أجمع ، متجاهلة كل القيم الدينية بــل قامت بالهجوم على الدين بوجه عام والدين الإسلامى ــ بوجه خـــاص ــ كفكرة وكعقيدة وكأيدلوجية ووجهوا للدين الإسلامى أبشع الاتهامات مثـــل اتهامه بأنه دين الإرهاب والترويع ودين الجمود والتخلف ، وأصبح يكمــن في عقل وفكر الأوروبى بسبب هذه الحملة الشرسة كل صورة سيئة عــن الإسلام ، ويدل على ذلك ما نشاهده اليوم ونقرؤه ونســمعه فــى وســائل الإعلام عن اتهام كثير من الدول العربية بالإرهاب وتسميه بعضها بأنــها محور الشر، وعدم تطبيق حقوق الإنسان ، وقيد الحريات لا لشئ إلا لأنـها تحاول تطبيق الشريعة الإسلامية أو على الأقل الالتزام بالنهج الإسلامى أو بالقيم الدينية ، وأصبحت الصورة عند الكثير منهم سوداء بالنسبة للإســلام ويدل على ذلك ما عبر عنه بعض الأمريكيين لمحمد على كلاى الملاكــم الشهير عندما زار موقع مركز التجارة العالمى بعد الــهجوم عليــه فــى ١١ سبتمبر ٢٠٠١ مع جماعة من علماء الإسلام الأمريكيين بــأن الــذى ارتكب هذا الحدث أناس يشاركهم العقيدة ، فكان رد محمد على عليــهم ــ وهل كان هتلر مسيحيا . [(١)]

والمتأمل فى فكر وثقافــة الغــرب يجــد أن العــداء للديــن عامــة متوافر لدى الكثير من علمائهم ومفكريــهم وساســتهم وقادتــهم ، فمنــذ عصر النهضة وعــداء أوروبــا للكنيســة الكاثوليكيــة يــزداد لأســباب

---

(١) د . ناصر الأنصارى ومحمود ناصر الأنصارى: العروبة فى مقابل العولمة ، مكتبــة الأسرة ، ٢٠٠٢ ، ص٤٥ – ٤٦ .

تاريخية ، والذى كان نتاجه ظهور العلمانية التـــى فصلــت بيــن الديــن والدولة فصلا تاما ، وجاءت العولمة لتتفق مـــع العلمانيـــة فـــى اعتبـــار الدين من معوقات الحرية والديمقراطية ، ويدل علــــى ذلــك مــا ذهــب إليه " برتراندرسل " بأن الدين وتعاليمه مـــن العقبــات الرئيســية التـــى تحول دون التربية الســـليمة ، وقيــد الحريــات الإبداعيـــة ، كمـــا أنـــه يقضى على القيم الإنسانية ويعطـــل الذكـــاء والنشـــاط العقلـــى ويســـبب الأمراض النفســـية ، ويتفــق " رســل " مــع الفكــر الماركســى فـــى ضرورة إلغاء الدين من المنـــهج الدراســـى ، كمـــا يـــرى " رســـل " أن الدين لا يقدم للإنسان ســـوى الشــكوى والعــزاء للمؤمنيــن ، والجبــن والخوف من الله ، ويعتـــبر " رســل " أن المدرســين الذيــن يتنـــاولون الأمور الدينية ، يكونـــون إمـــا أغبيـــاء أو منـــافقين أو ضيقـــى الأفـــق ولا يشجعون طلابهم على المغـــامرة والإبـــداع الفكـــرى ، وأن للتعليـــم الديني أثرا سيئا علي الأخلاق، لأن التنبيه علــــي طاعـــة الكبـــار – كمـــا يدعو الدين – يفقد الطفـــل إرادتـــه الشـــخصية ويجعلـــه مطيعـــا منفـــذا للتعاليم دون تفكير أو فهم ، كما يؤدى إقامة الأخلاق علــــى الديــن إلـــى أن من يفقد الإيمان ويتحول عن الديـــن يفقــد الأخـــلاق لأنـــه لا يكـــون له أى أسس عقلية بديلة عن أخـــلاق الديـــن . [1] ويؤكــد " فوكويامـــا " مزاعم " رسل " فى قوله : " إن الديـــن لـــم ينشـــئ بذاتـــه – مجتمعـــات

(١) د . أحمد الأنصاري : الأخلاق الاجتماعية عند برتراند رسل ، مركز الكتاب للنشـــر ٢٠٠٣ ، ص٢٠ – ٢١ .

حرة ، وبمعنى ما ، فإنه كان على المسيحية أن تلغى ذاتها بعلمنة أهدافها قبل أن تتمكن الليبرالية من الظهور ، وكانت العلمنة هى السبيل إلى منع الدين المسيحى ورجاله من التدخل فى الشئون السياسية. "[1] كما وصف " فوكوياما " المسيحية بأنها آخر الأيدولوجيات الكبرى للاستعباد لأنها لا تحقق الحرية الإنسانية للإنسان على هذه الأرض وهكذا كانت فى رأيه شكلا من أشكال العبودية والاستلاب . [2] فالدين عنده عائق أمام الديمقراطية ، فمن المستحيل أن يتلاءم مع الليبرالية ، وإذا كان هذا موقف " فوكوياما " المبشر الأول بالعولمة من المسيحية فما هو موقفه من الإسلام ؟

ولم يتوقف " فوكوياما " في موقفه من الدين عند هذا الحد – أى كعائق ومقيد للحريات بل ذهب إلى أن كل ما يصدر من الدين من أخلاق وعقائد وتشريعات تتنافى مع الحرية الإنسانية، وتتعارض مع قيم التسامح التى تمثل الفضيلة الرئيسية فى المجتمعات الديمقراطية حسب رأيه، ويضرب مثلا على ذلك بقوله: " فى أمريكا اليوم لم يعد من المناسب أبدا أن يقوم شخص بمهاجمة صديق له معروف أنه متزوج لدى رؤيته فى مطعم برفقة عشيقته لكونه يخون زوجته ، فالناس الذين يفعلون ذلك يكونون أخلاقيا حقيرين ، فهم لا يملكون أية صفة تخول لهم تقديم النصائح

---

(١) فوكوياما : نهاية التاريخ و الإنسان الأخير ، ترجمة فؤاد شاهين ، جميل قاسم ، رضا الشايب ، مركز الإنماء العربي ، لبنان ، ١٩٩٣ ، ص٢٠٧ .

(٢) م. السابق ، ص١٩٢ – ١٩٣ .

للغير حول الطريقة التى ينبغى أن يعيشوا بموجبها .. " [1] ويطالب " فوكوياما " بتطبيق القيم النسبية محل القيم الثابتة، بمعني رفض الدين وإقرار أحاسيس الإنسان، وتطبيق كل قيم العلمانية والعولمة، ولهذا يقر ويثنى على تجربة " مصطفي كمال أتاتورك " بوصفها الديمقراطية الوحيدة فى العالم المعاصر بعد أن قضت تركيا على كل موروث ديني وأصبحت مجتمعا علمانيا ثم مجتمعاً أوروبياً خالصاً.[2]

ومن هذا المنطلق والخطط التى وضعتها ترزيسة أنظمة العولمة بدأت تدور رحا المواجهة المباشرة بين الدين وأنظمة العولمة حسب رأى " نبيل على " – على جبهة القيم والأخلاق بصفة أساسية ، وساعد على ذلك ثورة المعلومات التى أفرزتها نظم العولمة وتسببت فى خلق كثير من المشاكل القيمية والأخلاق حول التطور الهائل فى الهندسة الوراثية وما ينتج عنه من مشاكل أخلاقية ونفى الأمر فى الاستنساخ والإنترنت بالإضافة إلى كثير من المشاكل العقائدية والدينية.

كما يطرح مجتمع المعلومات المعاصر وعولمته الكثير من المشاكل والقضايا الشائكة فى اللغة والفكر والتربية ، والفن ووسائل الترفيه وكذا المأكل والملبس ، كما أصبحت العلاقة بين الدين الإسلامى وثقافة العولمة أكثر تعقيدا وتشعبا ، فالإسلام من وجهة نظر رجال الدين دين ودنيا ،

---

(١) م . السابق ، ص٢٨٤ .

(٢) م . السابق ، ص٢١٠ .

كذلك فهو يحتوى الثقافة بأثرها في عباءته وهو ليس فقط نظامـــا أخلاقيـــا أيدولوجيا ، بل أيضا نظام اقتصادى واجتماعى وثقافى وسياسى ..إلخ .

وإذا كان قد ظن دعاة العولمة أن قوة الدولة تكمن فى امتلاكها عـــددا ضخما من عدة القتال وآلاته وما تملكه من كميات هائلة مـــن الصناعـــات والتكنولوجيا والتكنيكيات وما تملكه من أسلحة ذرية ونووية لكى ترهب بها الدول الضعيفة، فإن هذا الظن خاطئ لأن الدول لا تتاح لها القوة الحقيقيـــة حتى تكون لها قيم ومبادئ وأخلاق متينة تجمع بين أهلها بالحب والعـــــدل فالدول لا تسود ولا تعلو بالحديد والنار ولا بالمـــال والتفـــوق العســـكرى المتطور بل بالخلق المتماسك القائم على المصدر الدينى، فالدين وحـــده – كما يقول " برنارد شو" " هو وحده الدين الذى يظهر لى أنه يملـــك القـــوة التى تغير صورة الكون ، ذلك لأنه يوافق كل جيل ويتمشى مع مصلحـــة البشر في كل زمان.." [1] فالدين الإسلامى يجمـــع النـــاس علـــى التـــواد والتراحم ، والمحبة والتسامح الذى هو أهم مظـــاهر المدنيـــة الإســـلامية، عكس ما تتميز به المدنية الغربية والتى تقوم على العصبية والتمييز بيـــن الأسود والأبيض ولهذا على الرغم من التقدم المادى الـــذى نشـــاهده فـــى الحضارة الغربية إلا أنه قد سادها مظاهر التدهور والانحلال الأخلاقى .

والدين الإسلامى لا يرفض توحيد العالم كما تزعم أنظمة العولمـــة ، لكنه يوافق على ذلك بشرط أن يكون لكل شعب خصوصياته ، ومبادئـــه ،

---

(١) د. نعمات أحمد فؤاد: الإسلام وإنسان العصر ، العودة إلي المنبع ،المجلـــس الأعلـــى للشئون الإسلامية ، القسم الثاني ، عدد ٨٢، ٢٠٠٢ ،ص٤٧ .

إنما يرفض توحيد العالم ووضعه فى قالب واحد تحت سـيطرة وهيمنـة إحدى القوى الكبرى وتحت مظلة أحد المذاهب والفلسفات السائدة .

وقد أكد القرآن الكريم على ذلك فى قوله تعالى : ﴿ **كان الناس أمـة واحدة فبعث الله النبييـن مبشـرين ومنذريـن.** ﴾ [1] وقولـه تعـالى : ﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنـا ربكـم فـاعبدون** ﴾ [2] فـالوحدة هى الأصل فى الدين لكن من الضرورى أن تخضع هـذه الوحـدة لا لبشـر ولا لأى قوى عظمى بل تخضع لله تعالى ، وقد دعا الله سبحانه وتعـالى إلى إزالة الفوارق بين الناس جميعا ، كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم شعوبا وقبـائل لتعـارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ [3] كما أن الدعوة الإسلامية مـا جـاءت لأمـة دون أمة إنما جاءت للناس كافة كما جاء فى قوله تعالى: ﴿ **وما أرسـلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا** ﴾ [4] والدين الإسلامى دين متفتح لا يرفـض ثقافة معينة لمجرد كونها أجنبية أو من أصحاب ديانات أخرى ، بل دعـا إلى النظر فيها وفحصها بعناية وأخذ منها ما ينفعـه ولا يضـر بغـيره ، فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها وكما جاء فى الأثـر : " اطلبـوا العلم ولو فى الصين " .

---

(١) البقرة: آية رقم ٢١٣ .

(٢) الأنبياء: آية رقم ٩٢ .

(٣) الحجرات :آية رقم ١٣

(٤) سبأ : آية رقم ٢٨.

وقد اتبع مفكرو الإسلام هذا المنهج ويثيــب ذلــك نظــرة وموقــف فلاسفة الإسلام من أمثال الكندى والفارابى ، وابــن سـينا وابــن رشــد للتراث الغربى اليونانى ، وقد أشار ابن رشــد إلــى ذلــك فــى قولــه: " ينظر فى الذى قالوه من ذلك وما أثبتوه فى كتبــهم ، فمــا كــان منــها موافقا للحق قبلناه منهم وسررنا به وشكرناهم عليــه ، ومــا كــان منــها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منــه وعزرنــاهم.. " (١)

ويؤكد على ذلك أيضا " ابن خلدون " الذى يرى أن اجتمــاع البشــر تحت راية حاكم كى يكون هناك وازع يدفع بعضهم عن بعض لمــا فــى طباعهم من العدوان والظلم ، وهذا الوازع قد يكون واحد منهم له الغلبــة والسلطان ملكا أو رئيسا ، وقد يكون الشرع المفــروض مــن عنــد الله ، ويكون تحت راية العدل السماوى ، ويشير إلى ذلك فى قوله: " العمــران ضرورى للبشر ورعاية مصالحه لذلك لئلا يفســد إن أهملــت، والملــك وسطوته كان فى حصول هذه المصالح ، نعم إنما تكون أكمــل إذا كــانت بالأحكام الشرعية ، لأنه أعلم بهذه المصالح ، فقد صار الملك يندرج تحت الخلافة إذا كانت إسلامية ويكون من توابعها ، وقد ينفرد إذا كان فى غــير الملة. " (٢)

---

(١) ابن رشد : فصل المقال : ضمن فلسفة ابن رشد ، المكتبة المحموديــة ، القــاهرة ، ١٩٦٨ ، ص١٣ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، دار الشعب .ب . ت ، ص١٧٠.

و من هنا فالدين الإسلامى واضح فى الإشارة إلى الوحدة العالمية لكن على أسس: منها أن تكون تحت حاكم عادل ، وأيضا لا يرفض النظام العالمى لكن يكون قائما على العدل والمساواة الحقيقيين لا الظاهريين . ومن ثم تختلف عالمية الإسلام ، عن عالمية العولمة أو العلمانية، وإذا كان البعض قد حاول الخلط بين هذه المفاهيم الثلاثة، مثل محاولة " محمد أركون " إن العولمة الحالية المتمثلة فى السيطرة الأمريكية متضمنة وموجودة فى القرآن الكريم وكانت متمثلة فى تجربة الدولتين الأموية والعباسية اللتين هما دولتان علمانيتان – حسب رأى " أركون" وليسا دولتين دينيتين ".[1] إن الفارق كبير بين عالمية الإسلام وعالمية العولمة فى الشكل والمضمون ، فعالمية الإسلام قامت على قاسم مشترك بين حضارات العالم وقبلت تفاعل الآخر معها أخذا وعطاء وتعاملت عالمية الإسلام مع الاختلاف بين البشر باعتباره من حقائق الكون ، ودعا الخطاب الدينى إلى اعتبار فوارق الجنس واللون واللغة من عوامل التعارف بين البشر.

والعالمية الإسلامية تعني التعدد والتنوع والتمايز والاختلاف ، بينما العولمة تعنى صب الكل فى قالب واحد ، هذا بالإضافة إلى

---

(١) محمد أركون: المقدس والثقافي والمتغير – مفهوم السيادة العليا في الفكر الإسلامى ، مقالة بمجلة الفكر العربي المعاصر، عدد ٢٩ مايو ١٩٨٦ وانظر أيضا : د. عبد الحليم عويس : القيم الإسلامية في الإسلام .م . سابق ص١٣ .

أن أنظمة العولمة التى تزعـم القيـام علـى مبـدأ المسـاواة لا تعـرف المساواة ، لأن المساواة فـى نطـاق الأسـرة الدوليـة ليسـت إلا رداء تكسبه القوى العظمى عندمـا يكـون مـن صالحـها أن تسـتخدم هـذه الكلمة للإغراء ، كما يحدث الآن من جـانب أكـبر أقطـاب العولمـة ، وكل ما تدعيه هذه الأنظمـة مـن تحقيـق المسـاواة وحقـوق الإنسـان ومساعدة الدول الفقيرة وتطبيق الديمقراطيـة ، ومحاربـة الإرهـاب مـا هو إلا ستار يخفى الظلم السياسى والثقافى ، الـذى يرفـع عـن كاهلـه جرائم ثلاث هى : استئصال الحضـارة الإسـلامية التـى قـامت منـذ مئات السنين مـن جذورهـا ، واسـتئصال الـهنود الحمـر مـن أرض آبائهم ، واستئصال الفلسـطينيين والعراقييـن والسـوريين مـن بلدانـهم وغرس إسرائيل لتحقيـق حلـم الصهيونيـة العالميـة بدولـة إسـرائيل الكبرى من النيل إلي الفرات حتى تكتمـل منظومـة الهيمنـة السياسـية والاقتصادية والعسكرية والثقافية [1]، وللأسـف فقـد قطعـت مشـواراً كبيراً فى هذه الهيمنة وسيطرت على كثير مـن الـدول سـواء سـيطرة مباشرة ، أو غير مباشـرة

ومن المفارقات بين أنظمة العولمة والديـن نجـد أن القيـم الدينيـة بينما تقوم على مبدأ الإحسان ، تقوم قيـم العولمـة علـى أسـاس عـدم وجود مجال لهذا الإحسان وعدم وجـوب الالـتزام بـالقيم الدينيـة، بـل

(١) د. حامد ربيع : الإسلام والقوى الدولية ، م . سابق ، ص٥٦ .

تقر قيماً خاصة بـــها والتـــى تقـــوم علـــى المنفعـــة والمكســـب المـــادى والاستغلال والعمل على استنفاذ موارد الـــدول الفقـــيرة والضعيفـــة .

كما تتميز ثقافة العولمة بأنها ثقافـــــة ليســـت أصليـــة، وإنمـــا هـــى ثقافة الصورة حيث تلعب الصورة الدور نفسه الذى تلعبــــه الكلمـــة فـــى سائر التواريخ الثقافية كما تقوم هـــــذه الثقافـــة بالـــهجوم علـــى الوعـــى الإنسانى مما يؤدى فى النهايـــــة إلـــى قتـــل الحيـــاة الروحيـــة، وتذهـــب بالمستوى الأخلاقى والإنسانى إلى أدنـــــى مســـتوى ويلعـــب التليفزيـــون والإنترنت دور المؤسسة التربوية والتعليمية التـــى تقـــوم وظيفيـــا بـــدور الأسرة والمدرسة ، هذا الاختراق الثقـــافى الـــذى يســـود عـــن طريـــق ثقافة الصورة يؤدى إلى استعمار العقول عن طريق التعـــامل مـــع هـــذه العقول تعاملا يحكمـــه مبـــدأ البقـــاء للأصلـــح ، والأصلـــح هنـــا هـــو المتفوق فى كسب الـــثروة والنفـــوذ وتحقيـــق الهيمنـــة .[1] لا الأصلـــح تقوى ودينًا وعلمًا وأخلاقـــاً .

وبالرغم من نجاح العولمة فى التطور التكنولوجى الـــذى اســـتطاعت به السيطرة على حواس وشهوات وملذات البشرية، فإنها قد فشلت فشـــلاً ذريعاً فى تنمية الوعى الروحى والقيم الدينية لدى معتنقيـــها الحقيقيين ، ولهذا فالدين الإسلامي سيظل دين العالمية الذي يعمل من أجل إشباع جميع رغبات واحتياجات الإنسانية المادية منها والروحية بـــالقدر القـــائم علـــى التوازن بين هذه الاحتياجات أو برفض الهيمنة والسيطرة التـــى تمارســـها

(١) د. عبد الفتاح الفاوى: العولمة وموقف الإسلام منها، مصدر سابق، ص١٥٤ – ١٥٦

أنظمة العولمة، ويعمل دائماً لأجل مصلحة الجميع لا لمصلحـــة الأقــوى فقط ، فعلى من يريد أن يأخذ بنظام العولمة عليه أن يتبع مـــا جــاء فـــى الأديان السماوية من قيم أولاً ثم عليه أن يقبل ما يتفق مع مبادئ وقيم الدين ويرفض ما ترفضه القيم الدينية والتخلى عن القيم الدينية يؤدى كما أشـــار إلى ذلك " غوستاف لبون " إلى انحطاط وتلاشـــى الحضـــارة الأوروبيـــة ولا تسطيع أى أمة الحفاظ على حضارتها وقوتها إلا بالحفاظ على الإيمـــان بالقيم الدينية وأن الأمم عندما تفقد هذا الإيمان وتتعـــرض قيمـــها للجـــدل والشك سرعان ما تفنى وتزول .[1]

وإذا كانت أنظمة العولمة قد نسبت إليـــها كـــل فضـــل فـــى التقـــدم العلمى فى جميع المجالات ونفت ذلك عن كـــل مـــن يعتنـــق الإســـلام ، فإنه قد نفى ذلك بعـــض أنصارهـــا فـــهذا الدكتـــور "جريتيـــه " عضـــو مجلس النواب الفرنسى يرد على مـــن ادعـــى أن ســـبب تـــأخر العـــالم الإسلامى فى مجال العلوم هو القرآن الكريـــم بقولـــه : " إننـــى تتبعـــت آيات القرآن الكريم التى لها علاقة بالعلوم الطبيـــة والطبيعيـــة فوجدتـــها منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثـــة فأســـلمت لأننـــى تيقنـــت أن " محمداً " أتى بالحق الصراح قبل ألـــف ســـنة، ولـــو أن كـــل صـــاحب

---

(١) غوستاف لبون: السنن النفسية لتطور الأمم ، تعريب: عادل زعيتر ، دار المعـــارف مصر ١٩٥٠ ص٥٠-٨٣ و ص١٧٢ – ١٧٤ .

فن من الفنون أو علم من العلـــوم ، قـــارن الآيـــات القرآنيـــة المرتبطـــة بما تعلّم جيداً كما قارنت أنا.. لأسلم بـــلا شـــك." [1]

ومن هنا فالعولمة وثقافتها على هذه الصـــورة لـــها مـــن الســـلبيات والمخاطر على الشعوب الكثير، وهذا مـــا ســـنعرض لـــه فـــى الفصـــل القادم .

---

(١) خالد محمد الأحول : صورة الإسلام فى الإعلام الغربى ، ضمن مؤتمر الإسلام فـــى عصر العولمة ، المؤتمر الدولى الرابع للفلسفة الإسلامية ، كليـــة دار العلـــوم ، جامعـــة القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ٥٦٤ .

الفصل الخامس

تجليات العولمة الثقافية

أولاً : مبادئ وأهداف أنظمـــة العولمـــة :

تتمثل تجليات العولمة الثقافية فى الســـلبيات والمخــاطر والهيمنــة والتجاوزات التى تمارسها الـدول الكـبرى علــى دول الأطــراف ودول العالم الثالث ، ويحدث ذلك مـــن خــلال المبــادئ والأهــداف الحقيقيــة وغير المعلنة لأنظمة العولمة ، ومن ثم فقـــد وضعــت الـدول الكـبرى والتى تعد المركز الرئيسي لتسـيير النظــام العــالمى الجديـد ، مبــادئ وأهدافاً وسياسات من شـــأنها أن تصبــح خطــراً يــهدد جميــع الـدول الفقيرة فى مقابل تحقيق مكاسب وامتيازات لــدول المركــز ومــن هــذه الأهـداف:

١-إزالة الحواجز الزمانية والمكانية والثقافية والسياسية والاقتصاديـة بين الأمم والشعوب ، فى محاولة بشتى الطــرق لفــرض ثقافــات وقيــم حضارية هى قيم وثقافات الحضارة الغربية المزعومــــة [1] مــن خــلال الترويج لمفهوم القرية الكونية التى تضم بين جنباتها شـــوارع وحــوارى وأزقات عديدة ، لكن هذه الشوارع والحارات والأزقة تصب فى النهاية فى

---

(١) د. محمود حمدي زقزوق: الإسلام في عصر العولمة، المؤتمر الدولي الرابع للفلسفة الإسلامية – دار العلوم – جامعة القاهرة،١٩٩٩، ص٢٧ .

شارع رئيسى واحد هذا الشارع هو الذى يتحكم فى الداخـــل والخـــارج ، والبائع والمشترى ، والمتعلم والمعلم ، وهو الحاكم والآمر والنـــاهى . إذن ليس لهذه الشوارع والحارات والأزقة أى قيمة إلا من خلاله ثم إنه لا توجد حواجز بين هذه الشوارع الصغيرة والحارات وغيرها [١] وقد تســتخدم فى ذلك جميع الوسائل من قوة وإغراء فى فرض السيادة مستخدمة فى ذلـــك جميع وسائل الإعلام الموجه من أجل إذابة جميع القيم الأصيلة وحل محلها مذاهب وقيم جديدة من صنعها لكى تخدم مصالحها الخاصة ، كما ظــهرت على الساحة العالمية ظاهرة جديدة من الذوبان ، وهى زوال الحاجز بيـــن الحقيقة والخيال وبين الوهم والواقع نتج عنها كثير من الاضرابات العصبية والنفسية وعدم القدرة على التركيز ويسمى مرض " نقص القـــدرة علـــى الانتباه " Attention deficit disorder وهـــذا المـــرض يقلـــل الحساسية ضد العنف والقسوة مما يؤدى فى النهاية إلـــي جعـــل ارتكـــاب العنف شيئا طبيعيا معتادا عليه . [٢]

٢ـ فرض الهيمنة : مـــن أهـــم أهـــداف أنظمـــة العولمـــة هـــو فرض هيمنة الدول الكبرى وسيطرتها علـــى جميـــع المجـــالات لصـــالح فئة قليلة تمتلك المال والقوة والسلطة وتسيطر علـــى مقـــدرات العـــالم ، وتفرض قراراتها علـــى الـــدول والشـــعوب خصوصـــا شـــعوب العـــالم

---

(١) د. محمود عبد الفضيل: مصر والعالم علي أعقاب ألفيـــة جديـــدة، مكتبـــة الأســـرة، ص١١٦ – ١١٧ .

(٢) د. حسين كامل بهاء الدين: الوطنية في عالم بـــلا هويـــة، مكتبـــة الأســـرة، ٢٠٠٢، ص٢٨ .

الثالث ، مستخدمة فـــي ذلـك فـرض العقوبـات علـى مـن يحـاول الخروج عن الإطار الذى تحدده على سلطاتها ، وقـــد قـامت الولايـات المتحدة بتحقيق الكثير من أهداف الهيمنة على دول العـــالم الثـالث مـن خلال هيمنتها الاقتصاديـــة والسياسـية والثقافيـة والعسـكرية مسـتعينة فى ذلك بتطورها التكنولوجي وشـــركاتها العـابرة للقـارات ومفكريـها وفلاسفتها ووسائل إعلامـــها الطـاغى علـي جميـع وسـائل الأعـلام الدولى وأيضا من خلال فرض شـــروط نمطيـة وإجباريـة علـى دول العالم الثالث ، مثـل فـرض الخصخصـة علـى الشـركات المملوكـة للدول ، وتحرير التجـارة الخارجيـة ، ورفـع الحواجـز الجمركيـة ، وإلغاء كافة القيود علـــى الثقافـات الغربيـة ، وحريـة الأجـانب فـى التملـك ، وإلغـاء الدعـم عـن الفقـراء ، وتحريـر نظـام التـــأمين والمعاشات ، وترك المسئولية للأفراد يفعلون ما يشـــاءون ، ومـن هنـا فنظام العولمة له حسب قول د. حسين كامل بهاء الديـــن " قـوة طـاردة مركزية تقلع الإنسان مـــن جـذوره .. ومـن تربتـه ليتخلخـل النسـيج الاجتماعى بسببه "[1] فـــهو لا يعـترف بالصـــالح العـام بـل يعـترف بصالحه هو فقـط .

ونجحت بالفعل فى تفكيـــك الاتحـاد السـوفييتى والقضـاء علـى أكبر قوة عسكرية واقتصادية وثقافيـة فـى دول العـالم العربـى وهـى العراق ، كما تحاول أيضًا على إضعاف القوة السياســية والدينيـة عـن

(١) د. حسين كامل بهاء الدين: الوطنية في عالم بلا هوية، ص٧٥ .

طريق إشعال نار الفتنـــة الطائفيـــة والادعـــاء بحمايـــة الأقليـــات مـــن الاضطـــهاد الدينـــى المزعـــوم ، ومقولـــة حقـــوق الإنســـان وحقـــوق المرأة .. والإصلاح الاقتصـــادى ، وقـــد اتخـــذ الكونجـــرس الأمريكـــى القرارات فى هذا الاتجاه ، كما حاولت اقتطاع إقليـــم كوســـوفا وتســـليح جيش تحرير كوسوفا الذى يحـــاول الاســـتقلال [1] ، كمـــا تحـــاول الآن القضاء على قوة إيـــران وســـوريا وليبيـــا بادعاءاتـــها الكاذبـــة بشـــأن أسلحة الدمار الشامل ومكافحـــة الإرهـــاب .

٣ـ الحرية المطلقة: فتحت أنظمة العولمة المجال للحرية المطلقـــة فى كل شئ ما عدا ما يمس قوتها وسيادتها ، فقد أطلقت الحرية أمام الشواذ جنسيا فأصبح حقا للمتماثلين جنسيا فى الزواج والطلاق ، والتبنـى والإرث وأصبح يمارس هذا الشذوذ على الملأ دون أى حرج ، بل وأصبحت الدول التى تقف من هذا موقف المعارض دولاً قمعية محرومـــة مـــن الحريـــات الشخصية ، كما أطلقت الحرية أمام الشباب أن يفعل ما يريد عدا التدخـــل فى شئون السياسة إلا إذا أرادت ذلك.

٤ ـ حقوق المرأة : انتشرت مؤخراً موضة حقوق المرأة فى الدول الإسلامية المطالبة بالحرية المطلقة فى زيها وعلاقتها مع الآخـــر ونـــوع تعليمها وعملها وسفرها ، وكأن المرأة فى الإســـلام مقـــهورة ، أليســـت

---

(١)محمد يوسف الجندى : العولمة والأمية ، دار الثقافة الجديدة ، ١٩٩٩م ص ٢٨ـــ٣٠ .

المرأة المسلمة حرة فى نفسها ولا تزوج إلا بإذنها وتوكل غيرها فى ذلك ، ولها ذمة مالية خاصة ، ولها حرية البيع والشراء بمالها الخالص ، أليست المرأة العربية وزيرة ومديرة وطبيبة ومهندسة ومعلمة ودبلوماسية وقاضية وأستاذة جامعية ، إن هذه الحرية التى تطالب بها المرأة الهدف منها إثارة وتمرد المرأة المسلمة ، لأنهم يعرفون أن المرأة نصف المجتمع فعندما يتمرد نصف المجتمع يصبح هذا المجتمع قلقا وليس فيه استقرار ، كما تهدف إلى شغل المرأة عن دورها الأساسى وهو التربية الأسرية والحفاظ على الأسرة التى هى أساس المجتمع .

٥- تعطيل الكثير من الأحكام الشرعية التى أقرتها الأديان السماوية مثل : محاولة إلغاء عقوبة الإعدام والحدود " حد السرقة ، وحد الزنا .. " رغم أن جميع الديانات السماوية تحض على أن العين بالعين والنفس بالنفس والسن بالسن ، وقد نجحت بعض الدول فى إلغاء هذه العقوبة ومنها تركيا مقابل الموافقة على ضم تركيا للاتحاد الأوروبى [١] بحجة تطبيق حقوق الإنسان وحقوق الأقليات .

٦- كما تنطلق مبادئ العولمة من منطلق أن من ليس معنا فهو ضدنا ، وتهدف من وراء ذلك تبعية الأطراف للمركز ، ولهذا تلقى كل يوم على العالم بعدة مفاهيم جديدة أشبه بالسوط على ظهر من لا يدخل فى طاعة النظام العالمي الجديد . من هذه المفاهيم الديمقراطية ــ حقوق

---

(١) د. ناصر الأنصارى ومحمود الأنصارى : العروبة فى مقابل العولمة ، م السابق ، ص٣٣ – ٣٥ .

الإنسان ــ مقولة حقوق المرأة والأقليــــات والخصخصـــة ، والإصـــلاح الاقتصادى – اتفاقية الجات والتى تجعل كل شئ فـــى الأســـواق مفتوحـــا للمنافسة ، ومن لا يقدر على المنافسة فى السوق عليـــه أن يـــنزوى إلـــى متاحف التاريخ ، ولا مكان للأقزام بجانب الكبار ، وتعم قيـــم الاســـتهلاك والمتعة بالحياة ، وما على الدول النامية إلا ركوب القطـــار الـــذى يحـــدد المركز اتجاهه وسرعته ونوع حمولته ، وقائده ووقوده ومحطاتـــــه التـــى يتوقف فيها أو التى يتجاوزها ، فإذا ما اتسعت المســـافة بيـــن الأغنيـــاء والفقراء انتشرت الجرائم المنظمة وظهرت البلطجة وانتشر النهب والسـلب والعنف والإجبار والفساد والمضاربة ، ووسائل الكسب السريع ، وتـــهريب الأموال ، وازداد الغلاء والترف وازدهر الجنس متعة رخيصة لمن يملـــك المال ولمن يبيع الرقيق الأبيض ، وضاعت القيم الدينية ، وازداد التفكـــك الأسرى والتشرد الاجتماعى وساد الشك والنسبية وعممت العدمية وانقلبـت القيم وسرى الخواء فى الروح فتنهار الأمة والشعوب . [1]

٧ــ **الهيمنة الثقافية** : مما لاشك فيه أن هـــدف أنظمـــة العولمـــة واتفاقية الجات هو الهيمنة الثقافية التى تضمن لدول المركز اكتمال منظومة الغزو الثقافى ، وقد تحقق ذلك لها بعد سقوط الاتحاد الســـوفييتى وتفكـــك الكتلة الشرقية ، فأصبحت الأفلام الأمريكية تهيمن على الشاشة الصغـــيرة والكبيرة فى الدول النامية ، ودول أوروبا ، ونشأ أكثر من جيل على أفـلام

---

(١) د. حسن حنفى : الثقافة العربية بين العولمة والخصوصيـــة ، الإشـــكال النظـــرى ، المؤتمر الدولى الرابع – كلية دار العلوم – جامعة القاهرة ، ١٩٩٩ ص ٣٤٣ – ٣٤٥ .

الكاوبوى ، ورعاة البقر والسوبرمان والمسلسلات الأمريكية خاصة هيمنــة المؤسسات الأمريكية على الكثير من الأقطار من خــــلال ترجمـــة الأدب الأمريكى فى كثير من دول العالم المتقدم والمتخلف مما أدى إلـــي تغيــير كثير من السلوك الحركى والأداء النفسى والمفاهيم الفكريـــة مـــن خـــلال الإقبال على رموز مدمرة خطيرة فى المسلسلات الأمريكية التى لا تكـــاد تخلو منها أى بلد في العالم كله اليوم ، حتى الدول المتقدمة مثـــل فرنســا فإنها أحست بالخطر الثقافى الذى يهددها ، فشددت علـــى الحفـــاظ علـــى هويتها الثقافية من الخطر الأمريكى بدعم السينما الفرنسية .

أما الدول العربية فللأسف الشديد لم تستفد من التجربة الفرنسية بـــل على العكس من ذلك ، كان التأثر شديداً بالثقافة الأمريكيـــة فـــى جميـــع المجالات وبالأخص فى المجالات السلبية ، وقد ساعد على ذلـــك ســـعى أمريكا إلى إدخال جانب الخدمات الثقافية بكل الوسائل المباشـــرة وغـــير المباشرة ، ولم تترك فرصة فى محاولتها للهيمنة الثقافيـــة فكـــانت تنتـــهز المؤتمرات الاقتصادية وتبث فيها أنواعاً من الثقافـــات الخطـــيرة ، مثـــل إدراجها مشروع حقوق الملكية ضمن مؤتمر مراكش ، وكذا دعوتها تطبيق الديمقراطية الزائفة التى تدعيها كأداة للهيمنة على الدول الناميـــة وغـــير النامية ، كما حاولت وتحاول التركيز على التطبيع الثقافى العربـــى ومـــن الأساليب الغربية للهيمنة الثقافية : السيطرة على الصناعات الثقافية والتـــى تطلق على الكثير من الأدوات الثقافية المعاصرة مثل : صناعـــة الســـينما والأفلام ، والتمثيليات ، والتليفزيون ، والموسيقى ، والديكورات الفنيـــة ، والفيديو كليب ، وشرائط الكاسيت ، والمصنفات الفنية، والحاسب الآلـــى ،

والإنترنت ، وما تقدمه الإذاعـــات مــن المــواد الإعلاميــة كالكاســيت والأسطوانات وغيرها مما يدخل تحت هذا المفهوم ، والذى يقتصــــر فـــى الغالب على ما تقدمه الولايات المتحدة الأمريكية من مواد صناعية ثقافيـــة تستطيع لدرجة الإبهار أن تسيطر على الأسواق العالمية كلها ، وأصبحـــت تسعى لتغيير الكثير من وعى ورغبات المستهلكين خاصة من كانت درجـة ثقافتهم العقلية التخلف ، ومعرفتهم التنموية أقل تقنية من غيرهم مثل الدول العربية، وأصبحت هذه الصناعات ، تحوز أمريكا وحدها منها علـــى ٦% من الناتج القومى ، وهى نســبة تســبق النــاتج القومـــى فـــى الزراعــة والصناعات الإلكترونية ، وأصبحت هذه الصناعات تطل علينا من خــلال العديد من وسائل الإعلام مثــل التليفزيــون والســينما ، وأجــهزة البــث المختلفة ، والفيديو كليب والإذاعة والإعلام المقروء ، ولتسهيل ذلك قــامت بفرض تخفيضات كبيرة على جميع هذه الصناعات الثقافية بنسبة تـــتراوح ما بين ١٠ – ١٥% وتتحمل مخاطر هذا الإغراء فى محاولة إدخال مـــع هذه الصناعات مواد ثقافية أخرى مثل الشعر والموسيقى وأنواع العصـــائر ومناديل الورق وغيرها من التكنولوجيا الأمريكية بهدف الإغراء وتنميــط نموذج معين والسعى لتأكيد الهيمنة بالأساليب التقليدية وغير التقليدية.

وقد نجحت الولايات المتحدة الأمريكية فى تحقيـــق هــذه الســيطرة والهيمنة عن طريق الدخول فـــى صـــراع مـــن أجـــل الســيطرة علـــى المعلومات ، وفى ظل رغبة الوعى العربى ، والإمكانيات الضعيفة نجد أن الإعلام العربى سيطر عليه إعلام عدد كبير من الدول الكبرى ، مثال ذلك: سيطرة الإذاعة البريطانية في جزيرة قبرص وعمان وســـيطرة الإعـــلام

الفرنسى من خلال وجود إذاعتين هما: مونت كارلو " الشـــرق الوسـط " وإذاعة فرنسا الدولية ، وسيطرة الإعلام الأمريكى من خلال إذاعة صـوت أمريكا وشبكة راديو وتليفزيون أرامكو بالســعودية ، ومحطتيــن دينيتيــن إحداهما فى جنوب لبنان ، والأخرى هى مونت كارلو الفرنسية ، وإذاعـــة أخرى مسيحية تبشيرية موجهة للأمريكيين .

ثانيا: أساليب أنظمة العولمة لفــرض ثقافتــها:

اتخذت الدول الكبرى " دول المحور " وســـائل وأســاليب وطــرق متعددة لفرض ثقافتها المزعومة على باقى الدول مـــن هــذه الوســائل:

١ــ الحرب النفسية: ويتحقق ذلك من خلال تصويرها العولمة بأنــها المنجد والمنقذ والمخلص الوحيد من حالات الفقر والتخلف الفكرى والمادى والسياسى والعسكرى والاقتصادى والثقافى والدينى ...إلخ . كما تصـــور لباقى دول العالم بأنهم أصحاب ديانة جديدة كما ذهب إلى ذلك " تومـــاس فريدمان " الذى خير العالم بين الإحساس بالانتماء ، وبين السـعى نحــو التقدم فى ظل العولمة فيقول : " فالانخراط فى مسارات العولمة والســوق العالمية بأى ثمن هو الطريق الوحيد للتقدم والازدهـــار بينمـــا الاحتفــاظ بالهوية أو الانتماء للجذور والديانة هو طريق التخلف والاندثار . "[(١)] وقــد حاول " فريدمان " توظيف فكرته والاستشهاد عليها بــالوضع الإســرائيلى

---

(١) د. مصطفى حلمى : كيف تصون الهوية الثقافية الإسلامية فـــي عصـــر العولمـــة . المؤتمر الدولى الرابع للفلسفة الإسلامية – كلية دار العلوم – جامعة القـــاهرة – ١٩٩٩ – ص٦٢٣ .

حتى عدها من الدول الآخذة بالعولمة ، ولهذا فهى تعد أحسن دولة متقدمة فى المنطقة وأرجع تفوقها وانتصارها على العرب إلى التزامها بأنظمة العولمة بالرغم من صغر حجمها.[1]

٢ـ محاولات التغريب المختلفة: حاول الغرب منذ عصر النهضة ، وما زال يحاول تغريب الإنسان العربى عن هويته الثقافية والدينية والاجتماعية والأخلاقية ، وقد نجح فى بعض المحاولات بسبب هشاشة الاعتقادات الدينية لدى بعض المسلمين .

وقد استخدم الغرب بعض التدابير كأسلوب الاغتراب الشخصية العربية والإسلامية ، منها نزع الوعى لدى المثقفين بعناصر الثقافة الوطنية وقوامها الأساسى وهو الإسلام ، كما حاولت فرنسا فى شعب الجزائر بأن حاولت خلق مجتمع جديد لا يعود مسلما من جديد ويظل جزائريا دون أن يصبح فرنسيا، من خلال العمل على أن يتولد إسلام جديد أكثر ميلا نحو المصالحة والتسامح مع أوروبا وتشجيع العلماء الشباب الذين يسيرون فى ذلك الاتجاه [2] ويذكر أحد مفكرى المغرب العربى عن أن التغريب فى بلاده ما هو إلا محو للشخصية العربية الإسلامية، بحيث يصبح الإنسان المغربى تابعا لا كيان له سواء فى ذلك الكيان الوطنى أو القومى أو الدينى ، ولا يهم أن يظل اسمه محمدا مثلا وجنسيته من المغرب

---

(١) م . السابق ، ص٦٣٢ .

(٢) د. حسن الشافعى : فى فكرنا الحديث والمعاصر، دار العدالة للطباعة – القاهرة ، ١٩٩٤، ج١ ، ص٢١ .

الفرنسي أو الجزائر الفرنسية أو تونس ، وإنما الذى يهم هـــو أن يكـــون محمداً مستلب الفكر والهوية.[1] وقد قرن هذا التغريب بالتغيير الإجتمـــاعى كى يحقق أهدافه ، ويكون بديلا عن تنصير الأمة إذ يـــؤدى إلـــى إبعـــاد المسلمين عن دينهم ويكون بديلا عن ردتهم الدينية.[2]

٣ــ تجنيد بعض المفكرين والكتاب والقادة فى مختلـــف دول العـــالم للترويج لهذه الثقافة مستغلين هؤلاء فى إقناع الإنسان المعاصر بأن الشعور بالولاء للأمة والوطن والتراث أصبح من مخلفات الماضى .[3] وقد نـــجح الغرب فى تجنيد بعض هؤلاء المفكرين والكتاب والقادة في تشويه أصـــول الثقافة والقيم الدينية مستهدفين أهم مصادرها وهو القرآن والســـنة، لأنـــهم أيقنوا أن سر نهضتنا – كما قال محمود الصواف – تكمن وراء ديننا، وأن الإسلام هو مبعث وحدتنا وقوتنا وانطلاقنا في الحياة ولهذا أجمعوا أمرهـــم ودبروا كيدهم لهدم بنياننا وبهذا يحاربوننا في أنفسنا وفي مقتلنا بمحاولـــة تطبيع الدين من حياتنا وتنفيرنا منه وبعدنا عنه.[4] كما نجح الغـــرب فـــي استغلال بعض القادة مثل " كمال أتاتورك " فى تحقيق حلمهم بإلغاء الخلافة الإسلامية وإقامة الجمهورية التركية العلمانية، ١٩٢٤ .

---

(١) د. محمد عبد العليم موسي: التغريب في التعليم ، ص٢١ .

(٢) علي جريشة: الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام ضمن مؤتمر الفقه الإســـلامى – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض السعودية ١٣١٦هـ ، ص٣٠١ .

(٣) د . مصطفى عبد الغنى : الجات والتبعية الثقافية، ص٦٢٣ .

(٤) محمـــود محمـــد الصـــواف: المخططـــات الإســـلامية لمكافحـــة الاســـتعمار . ب . ت ، ص١٧ .

٤ــ استغلال وسائل الإعلام المتطورة والمختلفة فى بث أنظمتها وما تريده هى وحجب ما لا تريده، وأكبر دليل على ذلك القنوات التلفزيونية التى أصبحت تعد بالمئات، وكذا الإنترنت، وقامت بالإضافة إلى ذلك بتسهيل استخدام هذه الوسائل بعمل تخفيضات على سعرها، وكذا على الاشتراك فيها ، ورفع قيمة الاشتراك للبرامج التى تريد بثها لفئة معينة .

٥ــ محاولة إقناع أبناء الأمة العربية والإسلامية بأنها أمم متخلفة فى جوهرها وتاريخها وصميم تكوينها ، ومن ثم فلا بد من انسلاخها تماما عن كل ما يربطها بماضيها ، وعن كل ما يميز ذاتها وهويتها وإعادة تشكيل المجتمع على الطراز الغربى من ناحية العادات والمظاهر السلوكية مع إبقائه متخلفا عاجزا عن معرفة سر صناعات الغرب، عاجزا عن اكتساب المعرفة الحقيقية التى يعرفها الغرب ، فإذا ما اكتسب بعض أفراده هذه المعرفة وجدوا أنفسهم غرباء عاطلين عن العمل وربما وجدوا أنفسهم وراء القضبان .[١]

٦ــ عزل أبناء الأمة الإسلامية عن قيمها وثقافتها الأصيلة، وهى قيم وثقافة الإسلام مما تسبب فى عدم وجودها فراغ فكرى ، ثم يبدأ بعد ذلك سيطرة فكر الجمود والتواكل ، والخرافة تحل محل الفكر الدينى الأصيل وذلك بتوجيه الثقافة المعاصرة من قبل المؤسسات التنصيرية والاستشراقية والاستعمارية والتى تعد مأساة تاريخية كبرى على العالم الإسلامى كما حاولت إحلال الثقافة المادية محل الثقافة الإسلامية وقد نجحوا فى

---

(١) م . السابق ، ص٢٩- ٣٠.

ذلك.(١) كما نجحوا فى خلق مفاهيم جديدة تحل محل المفـــاهيم الإســـلامية وزرعها خارج حدودهم مثل الديمقراطية المزعومة ، حقــوق الإنســـان – حقوق الملكية الفكرية، اتفاقية الجات، حقوق المرأة ... الخ.

ثالثا: مخاطر ثقافة العولمة.

تكمن مخاطر ثقافة العولمة فى تأثيرها السلبى على عقول الإنســـان المعاصر و تشويه البنى التقليدية وتغريب الإنسان وعزلـــه عـــن قضايـــاه وإدخال الضعف لديه، والتشكيك فى جميـــع قناعاتــه الوطنيــة والقوميــة والأيدلوجية والدينية، وذلك بهدف إخضاعه نهائيا للقوى المسيطرة علـــى القوى الكونية وإضعاف روح النقد والمقاومة عنده حتى يستسلم نهائيا إلـــى واقع الإحباط فيقبل بالخضوع لهذه القوى.

وما يزيد الخوف من مخاطر العولمة ما صرح به فلاسفة العولمـــة الغربيين من أمثال " سارتر " الذى صرح فى قوله عن موقفـــه مـــن دول العالم الثالث فقال: " كنا نضع فى أعماق قلوب مقتضى العالم الثالث الرغبة فى تحويل بلادهم إلى أوروبا حيث يرددون ما نقولـــه بـــالحرف الواحـــد تماما مثل الثقب الذى يتدفق منه الماء فى الحوض، وهذه أصواتنا تخـــرج من أفواههم ، وحينما كنا نصمت كانت ثقوب الأحـــواض هـــذه تصمـــت أيضا ، وحينما كنا نتحدث كنا نسمع انعكاسات صادقة وأمينة لأصواتنا من الحلوق التى صنعناها وكنا واثقين من أن هؤلاء المفكرين لا يقولون غـــير

---

(١) د. محمد عبد الحميد: المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري، كتاب الأمـــة ، قطـــر ، ١٩٨٤، ص١٤٠.

ما وضعنا فى أفواههم." [1] ومن خلال الخطة والأساليب الـــتى وضعـــها الغرب لتحقيق أهداف أنظمة العولمة، تتضح مخاطرها والتى تتمثـــل فـــى الآتى:

١ــ مخاطر أخلاقية

إن التأثر السلبى والخطير لأنظمة العولمة الثقافية لا يصيـــب فقـــط إنسان العالم الثالث، بل يصيب أغلب البشرية حتى أصحابـــها، فقـــد أدى النظام الاقتصادى الذى طبقته هذه الأنظمة إلى ارتفاع قيمة عائدات الأموال المحرمة بنحو ١٥٠٠ مليار دولار فى العالم يجرى غســـيلها ســـنويا كمـــا ارتفعت نسبة عائدات الأموال التى تأتى عـــن طريـــق اســـتغلال النســـاء والفتيات فى أعمال جنسية والتى ساعدت التكنولوجيا الحديثة فى تســـهيل ذلك، ولك أن تتخيل أن ناتج هذه الممارسات المحرمة والتى أدت إلى فساد القيم سبعة مليار دولار سنويا، كما ســـاعد احتكـــار الولايـــات المتحـــدة لـــ ٧٠% من الأفلام الجنسية وغير الأخلاقية من جملـــة إنتـــاج الســـوق الأوروبية والتى تصل إلى ٨٣% جملة السوق العالمية – علـــى انتشـــار الرذيلة بين المجتمعات. [2]

وقد أدى التقدم الهائل فى التقنية الحديثة إلى زيادة ارتكاب الرذائـــل وزيادة نسبة الجريمة وتنوعها وكثرة أساليبها ، ليس في دول العالم الثـــالث فقط، بل فى الولايات المتحدة الأمريكية صاحبة القرار فى العالم، ويؤكـــد

---

(١) د. عبد الفتاح الفاوى : العولمة وموقف الإسلام منها، م . سابق ص ١٥٧ .

(٢) د. محمود عبد الفضيل : مصر والعالم علي أعتاب ألفية جديدة، ص١٥٠ – ١٥١ .

ذلك ما نشره " رمزي كلارك " النائب العام الاتحادي في الولايات المتحدة الأمريكية من إحصائية عن جرائم بلاده فى عام واحد بسبب ثقافة العولمة فجاءت البيانات علي النحو التالى : وقوع جريمة قتل كل ٤٣ دقيقة، وجريمة اغتصاب امرأة كل ١٩ دقيقة ، وجريمة سرقة كل دقيقتين، وجريمة سطو على المنازل كل ٢٠ ثانية ، وسرقة سيارات كل ٤٨ ثانية، واختطاف رجال كل ٢٠ دقيقة. من خلال هذا التقرير نجد أن أكبر دولة تعتبر نفسها أعظم دولة متحضرة تعجز عن تكوين مجتمع خال من الجريمة ومن أى لمسة أخلاق [١] ،فماذا يكون حال الدول الفقيرة ؟ فعلى الرغم من محاولة تمسك الإنسان العربى بقيمه الدينية الأصيلة إلا أنه أمام كل هذه الإغراءات والضغوط أصبح يستجيب لها ودخل الكثير منه فى مجال الجريمة بكل أنواعها بسبب التخلى عن قيمه وأصبح الإنسان العربى يتعاطى علي مدى ٢٤ ساعة المخدرات الفكرية عن طريق وسائل الإعلام ، المختلفة من مكتوبة ومرئية مما جعله في حالة إدمان بما يتعاطاه من أفكار، فأصبح يرتكب أعمال العنف والقسوة ضد الآخر، وهو فى حالة عدم الإحساس بما يفعله، وذلك بسبب انتشار صناعة البرمجيات والوسائط المتعددة التى تنتج لعب الكمبيوتر الحربية للأطفال والتى كانت تستعمل لأغراض عسكرية، والتى تحولت إلى صناعة ألعاب ترفيهية للصغار والكبار من شأنها ترسيخ العنف بكل أشكاله، وقد ظهرت آثار هذه

---

(١) د. فتحي رضوان: الإسلام ومشكلات الفكر،سلسلة اقرأ، دار المعارف المصرية، ١٩٧٣، ص٢٨ .

الألعاب التى أفرزتها تكنولوجيا العولمة على أطفالنا فى المنازل والمدارس وكلنا نشاهد مدى العنف السائد بينهم وأصبحت ظاهرة تستحق الدراســـة. وليس هذا فى بلادنا فقط بل فى أمريكا أيضا ، والتى كثرت فيها أعمـــال العنف بين الصغار لدرجة قيام اثنين من الصبية فى إحدى مدارس أمريكـا بارتكاب جريمة قتل جماعية لزملائهم ومدرسيهم على نظام الألعاب التـــى كانوا يلعبونها على أجهزة الكمبيوتر، وعلى الرغم من ذلك لم يـــهتز لـــهم جفن ، ولم تطرف لهم عين ، وكأنهم يلعبون هذا المشهد علـــى الجـــهاز، وهذا لأنهم أصيبوا عمليا بمرض فقدان المناعة ضد العنـف Acguired violence Immune deficiency ولقد أصبحت هذه البرمجيـــات الألكترونية التى تجمد العنف بنية أساسية لثقافة العنف فى العالم ، ويبلـــغ حجم هذه الصناعة فى أمريكا وحدها ١٦ مليار دولار، وعلى الرغم مـــن التحذير منها إلا أن عامل المكسب طغى على كل النداءات .[١] كما تسببت التكنولوجيا المعاصرة لانتهاك خصوبة الإنسان وفقدان إحساسه بالســـكينة والأمان، وأدى التقدم فى مجال الهندسة الوراثيـــة والتكنولوجيـــا الحيويـــة والعلاج بالجينات ونقل وزراعة الأعضاء إلى ظهور عصابـــات تجـــارة الأعضاء ، وظهرت أيضا ظاهرة سرقة أو خطف الأطفال لنزع أعضائـــهم وبيعها وذلك من أجل الربح السريع.

كما فشل نظام العولمة فى تحقيـــق العدالـــة المزعومـــة وترســـيخ القيم الأخلاقية بين المجتمعات والأفراد وأصبح مجـــرد تـــهميش لثقافـــة

---

(١) د. حسين كامل بهاء الدين: الوطنية في عالم بلا هوية، ص ٢٨ – ٢٩ .

دول العالم الثالث وكذا اقتصاده، ويحدث ذلــك بمحاولــة الهيمنــة علــى كل أنظمة الدول النامية وأصبح هـــذا النظــام مجــرد شــعارات تعلــن يوميا فى وسائل الإعلام عن العدالـــة والمســاواة والقيــم والديمقراطيــة والتسامح ومكافحة الإرهاب لكــن الحقيقــة عكــس هــذا كلــه.[١] كمــا قامت أنظمـــة العولمـــة علـــى أســـاس سياســـة بـــلا مبـــادئ وتجـــارة بلا أخلاق، وتعليم بلا تربية وعلم بلا ضمـــير، وعبـــادة بـــلا تضحيـــة، وكانت النتيجة لهذا أننا ونحن فـــى القـــرن الحـــادى والعشـــرين يوجـــد خُمْسُ سكان العالم مـــن الأميين، وأربعـــة أخمـــاس البشـــرية مـــهددة بالبطالـــة .[٢]

٢ــ **إلغاء المحلية:** مـــن أهـــم أهـــداف العولمـــة إلغـــاء الحـــدود والحواجز التى تحدد خصوصيات كل دولة ، ومـــن أجـــل هـــذا الـــهدف حدث صراع بينها وبيـــن الـــدول التـــى تريـــد الحفـــاظ علـــى هويتـــها وخصوصيتها مع إصـــرار رواد أنظمـــة العولمـــة إلغـــاء هـــذه الهويـــة والخصوصيـــات وتســـعي لتوســـيع الحـــدود لنقـــل ثقافتـــها وفكرهـــا ومبادئـــها، وقـــد تقبـــل دول هـــذه الأفكـــار والثقافـــات وترفضـــها دول أخرى ، وأدى هـــذا إلـــى صـــراع ثقـــافى بيـــن أنصـــار الخصوصيـــة الثقافيـــة المغلقـــة والخصوصيـــة المفتوحـــة ، فأنصـــار الاتجـــاه الأول

---

(١) د. عبد الحفيظ عبد الرحيم: هيمنة العولمة الاقتصادية الغربية علي العـــالم ، ضمـــن مؤتمر الإسلام والغرب، دار العلوم – جامعة القاهرة، ٢٠٠٢ ، ص٣٠٧ .

(٢) د. نبيل علي: الثقافة العربية وعصر العولمة، عالم المعرفة، الكويـــت، عـــدد ينـــاير ٢٠٠١، ص٤٠١ .

يقفون موقفا متعصباً يركزون على أصولـــهم الثقافيـــة ويتمحـــور حـــول شجرة أنسابهم الفكرية وتتشبث بـــها فـــي مواجهـــة عدائيـــة إزاء فكـــر الآخر وثقافته أيا كان هذا الأمـــر ، أمـــا أنصـــار الاتجـــاه الثـــانى فـــهم عكس ذلك لا يرون فـــى الخصوصيـــة الثقافيـــة جوهـــرا ثابتـــا وإنمـــا مجموعة من الخصائص والسمات التى تبلورت نتيجـــة تفـــاعل عوامـــل مركبة فى لحظة تاريخية معينـــة.[1]

٣ـ **العدوان على الخصوصيات الثقافية** عـــن طريـــق هيمنـــة دول المركز، وصياغة ثقافة عالمية جديدة لها قيمها ومعاييرها وتـــهدف إلـــى ضبط سلوك الدول والشعوب ممـــا يعـــد تـــهديداً لـــهويات المجتمعـــات المعاصرة ، كما أن أنظمة العولمة بكل مظاهرها تطمع فى صياغة كونيـــة شاملة تغطى مختلف جوانب النشاط الإنسانى ، ويساعد على ذلـــك ثـــورة المعلومات والاتصالات، وشبكة الإنترنت والقنوات الفضائية ، وكل هـــذه الوسائل لها دور رئيسى فى التفاعل الثقافى على مستوى دول العالم، مـــن خلال تدفق الرسائل الإعلامية والثقافية من دول المركز وتصب فـــى دول الأطراف حاملة معها كل ما يخالف خصوصيات هذه الدول ويساعد أيضـــاً حملات التغريب الشرسة التى تمارسها الصهيونيـــة العالميـــة المتعاونـــة مع العولمة الأمريكية ، وقد استطاعت للأسف الشديد إلغاء الهويات الثقافية

---

(١) السيد ياسين: العولمة والطريق الثالث، مكتبة الأسرة، ١٩٩٩ ، ص٢٩ .

فى كثير من الدول العربية ، والبقية تأتى عن طريق العدوان المقنع على كل فكر وثقافة الأمم المحلية.(١)

٤ــ طغيان المادة على الروح، مما لاشك فيه أن حضارة العولمة ما كانت لتقوم وتطغى على العالم أجمع إلا بطغيان المادة على الروح مما جعل كل مجالات ونظم العولمة ما هى إلا إفراز أو نتاج للمنفعة وإشباع اللذات المادية والجسدية متناسية أو متجاهلة الجانب الروحانى أو بمعنى آخر الإنسانى، مما أدى إلى عدم التوازن بين احتياجات الإنسان، لأن الإنسان ما هو إنسان بالمادة فقط ولا بالروح فقط، بل هو إنسان بالمادة والروح، والمادة والروح ليسا فقط قلب وعقل وعواطف وجوارح الإنسان، بل عقل وقلب ووجدان كل مدنية صالحة، ولا يمكن أن تكون حضارة حقيقية إلا إذا سادها وسط دينى وخلقى وعقلى وجسدى يمكن فيه للإنسان كما يقول " أبو الحسن الندوى " أن يبلغ كماله الإنسانى وقد أثبتت التجربة أنه لا يتحقق ذلك إلا لمن يؤمنون بالروح والمادة معاً .(٢)

ومن المعلوم أن المجتمع المادى فقط مجتمع متجمد متحجر قلبه ووجدانه، والإنسان بدون قلب ومشاعر ليس بإنسان ، بل هو أقرب للجماد أو للحيوان منه للإنسان. ولهذا رأى "جمال الدين الأفغانى " أن الماديين أو المجتمع الذى يتخذ المادة على أنها

---

(١) م. السابق ، ص٣٠ .

(٢) أبو الحسن الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، دار العلم ، الكويت ، ط١٣ ، ١٩٨٢ ، ص١٢٨-١٣٠ .

شئ متجاهلاً الجانب الروحانى – كـــانوا صدمـــة علـــى أبنــاء قومـــهم وصاعقة مجتاحة لثمار أممـــهم يميتـــون القلـــوب ويزعزعـــون النظـــام بمساعيهم فما رزقـــت بـــهم أمـــة ولا منـــى بشـــرهم جيـــل إلا انتكـــس عرشه، وتبددت آحاد الأمة وفقـــدت قوائـــم وجودهـــا، ويعتـــبر "جمـــال الدين الأفغانى " أن التقويم المـــادى الـــذى يتجلـــى فـــى إنشـــاء المـــدن الكـــبرى والأبنيـــة الفخمـــة والمصـــانع الواســـعة، والـــثروات الوافـــرة والتفنن فى وسائل العقل والدين كل هذا لا يســـمى مدنيـــة، وإنمـــا هـــو أخلق أن يكون وحشية بل هو أحط مـــن وحشـــية الحيـــوان " [1] ولـــهذا أصبحـــت الحضـــارة الأوروبيـــة كمـــا يقـــول " محمـــد إقبـــال " ما هى إلا " بطالة وعري وســـكر وإفـــلاس " [2] .

وبما أن أقطـــاب العولمـــة يريـــدون تطبيـــق أنظمتـــها الماديـــة على الشعوب العربية. فيا لها من مخـــاطر ســـتجنيها الشـــعوب العربيـــة اللهم إلا إذا قد جنت بالفعل هذه المخاطر. لأننـــا وضعنـــا يدنـــا وعقلنـــا وقلبنا فى أيديهم وتركنا وصايا ديننا الذى دائماً مـــا يحثنـــا بـــأن لبدنـــك عليك حقاً وإن لنفسك عليك حقاً فـــأعط كـــل ذى حـــق حقـــه، وأغفلنـــا نصائح مفكرينا وفلاسفتنا القدماء ممن دعونـــا إلـــى ضـــرورة التمســـك بقطبى الحياة وهما : المادة والروح وكمـــا قـــال " الفـــارابى " إن العقـــل

---

(١) د. عثمان أمين : رواد الوعى الإنسانى فى الشـــرق الإســـلامى – مكتبـــة الأســـرة ٢٠٠١م – ص ١٣١-١٣٤ .

(٢) م. السابق ، ص١٤٨ .

والدين هما المعين الصافى للحياة الروحية التــــى بـــها يكـــون المجتمـــع الإنسانى فاضلاً، وبدونهما يكون مجتمعاً ضــــالاً، فويــل لمجتمـــع تتكــر للفلسفة والدين ، وما أشقانا إذا طغـــت علينـــا المـــادة . فخلـــت حياتنـــا من مشاغل الـــروح.(١)

وليس فلاسفة الإسلام ومفكروه فقـــط الذيـــن يتمســكون بـــالتوازن بين المادة والروح بل يوجد من فلاسفة ومفكـــرى الغـــرب مـــن يدعـــون لهذا التـــوازن ، مـــن هـــؤلاء "توينبـــى" الـــذى رأى أن القـــول بوحـــدة الحضارات المادية من أجل أن تعد الحضـــارة الغربيـــة أعظمـــها قيمـــة ليس إلا وهماً راجعاً إلـــى حيـــاة الحضـــارة العربيـــة الحديثـــة، وهـــى أنانية تمثل ادعاء اليهودية بأنهم شـــعب الله المختـــار. (٢)

وعبر عن هذه الحضارة المادية كـــل مـــن " غـــاندى " بقولـــه إن التقدم الحديث كما يمثله الغرب فى أيامنا هـــذه قـــد أحـــل المـــادة مكانـــا من حق الروح وحدها أن تتبوأه ، فنتج عن ذلـــك أنـــه قـــد بـــوأ العنـــف عرش النصر وقيد الحقيقة والبراءة في إصفـــاد الـــرق والاســـتعباد .(٣)

---

(١) الفارابى : إحصاء العلوم . تحقيق د. عثمان أمين ، مكتبة الأنجلـــو المصريـــة ،ط٣ ١٩٦٨ ، ص٤٧ .

(٢) توينبى : مختصر دراسة التاريخ سومرفيل،ترجمـــة، فـــؤاد محمـــد شـــبل ، جـــ١ ص١٥٠ .

(٣) د. عثمان أمين : الجوانية ، ص١٣٨ .

وقال " ألكسيس كاريل " فى كتابــــه " الإنســـان ذلــك المجــهول " إن الأزمة التى يعانيها إنسان هذا القرن أزمة منشـــؤها عــدم الانســـجام بين القلب والعقل وبين الـــروح والمـــادة .[1]

ويؤكد ذلك جارودى بأن العلم المـــادى الغـــربى الـــذى كـــان الأمـــل فيه لتحقيق السعادة والرفاهية للبشـــرية، أصبـــح مـــهدداً للعـــالم بكـــوارث الإفناء أو بحروب الكواكــــب والقنـــابل الهيدروجينيـــة والتلـــوث المســـمم للأحيــاء[2] .

وقد اعترف بعض مفكرى الغرب بفشـــل الحضـــارة الماديـــة فـــى إسعاد الإنسان وطالب "بــاول شــمتز" بإعــادة القيـم الدينيــة فيقــول: " وهكذا ظهر للمسلمين أن واجبهم هو إحياء الأفكــــار الإســـلامية الأولـــى مرة أخرى كى يستفاد منها فى عـــــالم ســـريع. خطــوة علـــى طريــق التقدم ، وعرض المبادئ التى خلقت المجتمــــع الأول فـــى عـــهد النبـــى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ، وإزالة الـــــتراب الـــذى تراكـــم عليها بمرور القرون ، وتفتيت خيوط العنكبـــوت التـــى نســـجت حولـــها من جراء الأحداث التى عاصرتها عـــبر القـــرون الطويلـــة. "[3]

٥ـ السرعة التى تسير بها العولمة والتى لم تترك للمـــــرء الوقـــت الكافى للتفكير الرزين أو التفكير السليم، ولـــــهذا يقـــول " إدوارد لوثـــاك"

---

(١) م.السابق، ص١٣٨ .

(٢) د.مصطفى حلمى :الإسلام والمذاهب الفلسفية ،ص٢٥٢ .

(٣) باول شمتز: الإسلام قوة الغد العالمية ،ترجمة د.محمد شامه ،مكتبة وهبـــه ١٣٩٤- ١٩٧٤ ،ص٨٧ .

الاقتصادى الأمريكى : " إن السرعة المروعة التى تجرى بها التحولات قد غدت صدمة لشطر عظيم من السكان . " (١)

وتتمثل مخاطر هذه السرعة فى الوجبـــات الســـريعة والتـــى لـــها مخاطرها على الصحة أولاً وعلى تفكك العلاقـــات الاجتماعيـــة ثانيـــا ً ، والزواج السريع ، والمكسب السريع ، الذى لا يحسب عواقـــب حســـاب الآثار السلبية التى تقع على المجتمع بهذا المكســـب الســـريع ، وأصبـــح الإنسان سريعا فى كل شئ ، وحل بسبب السرعة الحفظ السريع محل الفهم الطويل والنجاح السريع الذى لا يستند علـــى شـــروط النجـــاح ، وأيضـــاً السرعة فى ارتكاب الجرائم بسبب توفر الأداة التى تساعد على ذلك ، وقـد ساعد على هذه السرعة التطور التكنولوجي والتقنى الهائل الذى أدى إلـــى إحداث تغير سريع جعلنا ننسى مطالبنا الوجدانية وحاجتنا إلى المثل العليـــا وإلى الألفة والتآخى والإحساس بالذات والهوية وانحسر الخطاب الدينى في مقابل التوسع العقلانى وانتصاره على الدين بل واستهزاؤه به ، حتى ذهـب البعض منهم إلى أنه يمكن صنع آلهة كما يحلو لـــــه ، فالحضـــارة التـــى صنعت الأقمار الصناعية والمركبات الفضائية والعقول الالكترونية ، ليست فى حاجة إلى آلهة . (٢)

---

(١) هانس بترمارفين ، وهارالدشومان: فخ العولمة، ترجمـــة عدنـــان عبـــاس ، عـــالم المعرفة ، عدد ٢٩٥٠، أغسطس ٢٠٠٣م ،ص ٢٩١ .

(٢) د. نبيل على : الثقافة العربية وعصر العولمة ، ص٤٠١ .

٦-التفكك الأسرى: مــن أهــم مخــاطر العولمــة الثقافيــة علــى الأسرة هو تفككها الأسرى بسبب انـــهيار فــى المؤسســات الاجتماعيــة التى تقوم بها أنظمة العولمة ، وهذا لم يحدث فــى العــالم العربــى فقــط بل حدث فى الولايات المتحدة الأمريكيـــة مهندســة العولمــة وواضعــة أسسها ولهذا يصف " لوثـــاك " العولمــة بأنـــها قــوة تدميريــة لأبنائـــها كما أدت إلى زيادة حالات الطلاق [1] بسبب تســـريح كثــير مــن العمــال والموظفين وانتشار البطالة والإدمان ، والـــزواج العرفــى ...الــخ .

ومجمل القول إن العولمة كما أنـــها مفيــدة فــى بعــض جوانبــها والتى تتمثل فى فتـــح البـــاب أمـــام الإنســـان لأن ينطلــق فــى البحــث العلمى فى جميع الجوانب فيما يعود عليــه بالرفاهيــة والرخــاء وزيــادة الدخل وارتفاع مستوى المعيشة . إلا أن هذه الرفاهيـــة وهــذا الرخــاء وارتفاع مستوى المعيشة لا تصيب سوى ثلــث ســكان العــالم والثلثيــن يعيشون فى فقر فادح بسبب تطبيق أنظمـــة العولمــة بجوانبــها الســلبية والتى منها الاحتكار والاستغلال والسيطرة والهيمنـــة ممــا جعــل هــذا خطرا على الحياة الإنسانية فـــى جميـــع المجـــالات وبـــالأخص الثقافيــة والاجتماعية ، وكمـــا ذكرنـــا فـــى أولـــها والتـــى تجمــل فـــى الفســاد الأخلاقى ، وانتشـــار البطالـــة والإدمـــان والرذيلــة والـــزواج العرفـــى وانعدام العدالة والحرية والديمقراطية والتفكــك الأســرى....الــخ .

---

(١) م . السابق، ص٢٩١ .

والآن وبعد أن اتضحت سلبيات وإيجابيات العولمة ،فما هو موقف الإنسان المعاصر الذى يريد أن يعيش حياة كريمة، وأن يعيش فى ظل قيم روحية حقيقية ؟ بمعنى كيف نواجه سلبيات ومخاطر العولمة ؟

رابعاً: مواجهة خطر العولمة الثقافية:

مما لا شك فيه أن للعولمة الثقافية مخاطرها وسلبياتها كما أن لها إيجابياتها . فهل من الممكن مواجهة هذا الخطر مع الحفاظ على إيجابياتها ؟ ولمواجهة مخاطر العولمة وسلبياتها والاستفادة من إيجابياتها يجب اتباع هذه الخطوات :

١ــ تربية جيل جديد علي أصول القيم والثقافة الإسلامية الحقيقية مع الإلمام بالعلوم والتكنولوجيا المعاصرة ، فنحن في حاجة إلى باحثين دينيين جدد لبحث العلاقة بين الدين وأنظمة العولمة المختلفة ، لكي يستطيع الإنسان المسلم مواجهة مخاطرها وعليه أيضا : " أن يعيد غرس العنصر الدينى فى منظومة ثقافية بصورة أكثر علمية ومنهجية ، وعليه القيام بذلك فى تربة اجتماعية مضطربة غاية الاضطراب ومناخ عالمى لا يقل عنها اضطرابا ، وهنا يكمن مصدر التحدى الحقيقى . "[١] كما يجب التخلى عن الطرق التقليدية فى تربية الأجيال ، والتى لا يمكن أن تحقق الهدف المنشود ، نظرا لأن سلاح العولمة السريع والحاد والذى يحتاج

(١) د. نبيل علي: الثقافة العربية وعصر المعلومات، ص٤١٦ .

لمواجهته سلاحاً أقوى وأسرع وأحدّ منه حتى يتفوق وينتصر عليه ، فـــلا يكفى استخدام وسائل التعلم التقليدية فى مناهجنا الدينية بل يجب لكى نتفوق على طرق الغرب أن نستخدم وسائله التكنولوجية والتى تصلح مع مبادئنـــا وتبتعد عن الوسائل التى تضرّ بها ، ونستعيض عنها بوسائل أخرى مـــن إبداعنا وتسخير كل الوسائل لصالح القيم الدينية مثل :

١ـــ استخدام الإنترنت للربط بين مراكز الدعوة الإســـلامية ونقـل رسالة الدعوة من هذه المراكز إلى المسلمين فى مختلف أنحاء العالم .

٢ ـــ ستخدام تكنولوجيا الوسائط المتعددة فى تصميـــم العديـد مـــن البرامج المتقدمة للإرشاد الدينى متعددة اللغات .

ج ـــ بناء قواعد بيانات للفتاوى والتشريعات الإسلامية.

د ـــ استخدام قواعد ذخائر النصوص لحفظ نصوص التراث الدينى .

هـــ ـــ إقامة بنوك معلومات بمصطلحات إسلامية بجميـــع اللغـات المستخدمة فى الدول الإسلامية غير الناطقة للعربية .

وـــ إقامة قواعد البيانات البيبلوجرافية لموارد المعلومـــات اللازمـــة لدراسة الدين المقارن .

ز- إقامة خرائط ثقافية للأقليات الإسلامية.

٢- المعرفة الحقيقية بأنظمة العولمة ؛ فعلى الإنســـان الـذى يريـد مواجهة مخاطر العولمة والاستفادة من خيرهـــا أن يعـرف أولا ماهيـة العولمة وما خطواتها وأساليبها وأهدافها ومجالاتها ؟ وهذه المعرفة لا تأتى بسهولة ؛ لأن المعلن من أهدافها وأساليبها غير ما هو خفى ، ولهذا وجـب علي الإنسان أن يكون مثابرًا مجتهدًا صابرًا فى البحث عنـــها مســتخدما

جميع الوسائل لمعرفة أسرار هذه الأنظمة ، فإذا عرفت الحقيقة زال الخطر لأنه عندما تعرف مخاطر الشئ فأبسط الأمور محاولة تجنب هذا الخطــــر وكما قال سقراط : الفضيلة علم والرذيلة جهل ، فالعلم بالشئ يجعلنا دائمى الالتزام بالحق والخير والجمال، وهذا مجمل الفضائل والجهل به يدخلنا فى ارتكاب الرذائل دون أن نعرف أنها رذائل .

فأول خطوة علينا أن نخطوها هى العلم بكـــل مـــا يتعلـــق بأنظمـــة العولمة ، وهذا السلاح يجعلنا شركاء حقيقيين فى كل ما تنتجه العولمة وما دمنا شركاء ونعرف أسرارها، فبالتأكيد سنحرص على الحصول منها على كل ما هو خير وترك ما هو شر. وهذا يجعلنا ندخل بسرعة فـــى ثـــورة المعلومات والتصنيع التكنولوجى ولا نكتفى بالاستخدام فقط بـــل الإنتـــاج والإبداع والتطوير من خلال القيام بالأبحاث العلمية التطبيقيـــة وامتـــلاك المال اللازم لهذه الأبحاث ، فإذا تسلح الإنسان العربى بهذه الأسلحة أصبح لديه القدرة على مواجهة الخطر ، مع عدم الاكتفاء بالتكنولوجيـــا والتقنيـــة الغربية فى الاقتباس العلمى والاستفادة منه ، بل يجـــب التحديـــث الذاتـــى بابتكار تكنولوجيا خاصة بالعالم الإسلامى وبالبيئة العربية ، وذلك أفضـــل رد على الاحتكار الغربى للتكنولوجيا والثقافة الغربية.

ويكون ذلك من منطلق قاعدة : " اللحاق بالغرب أو تجـــاوزه كمـــا عملت اليابان والصين والكوريتان، وليس بالكلام النظرى والأيديولوجـــى الذى تصطحبه قوى العلم ومصداقية العمل كما هـــو الحـــال فـــى الأمـــة الإسلامية. " ولتحقيق ذلك يجب الاستفادة من علم وتكنولوجيا الآخر، لكـــن من مبدأ التطور والتحديث وإبراز شخصيتنا حتى يمكننا الاستغناء تدريجيـــا

عن روافد الحضارة الغربية وإنشاء حضارة أو ترسانة علمية خاصة بنـــا تتقدم على حضارة وترسانة الغرب مع الوضع فى الاعتبار أن العلم والفكر وأى معرفة حضارية لا تنشأ من فراغ كما قال " ابن رشـــد " الـــذى رأى أنه لا بد من الاستفادة من الآخر سواء كان هذا الآخر سابقًا أو لاحقًــا لأن المعرفة لا يقدر أحد علي إنتاجها وحده ولا بُدَ أن تتـــم بمعاونـــة الآخـــر ولا يشترط ابن رشد من الآخر أن يكون من أصحاب الملة، بل من الممكن أن يكون من أي ملة أو مذهب بشرط سلامة الأمة المستخدمة فـــي طلـــب الحقيقة العلمية فيقول: " سواء كان ذلك الغير مشاركاً لنا أو غير مشـــارك لنا في الملة. "[1] وما ذهب إليه ابن رشد فيه رد على مـــن يـــرى مـــن المعاصرين العرب قطع أى علاقة بعلم وفكر وثقافة الغرب ، فلا ضير من التعرف على ثقافات وعلوم ومعارف العولمة فى ظل التمسك بذاتية القيـــم الإسلامية وتكوينها الثقافي، خاصة وأن مفهوم الثقافة كما عرفها د. حـــامد طاهر- بأنها عبارة عن: " الصور الذهنية التي يكونها الشعب مما يصـــل إليه عن طريق أسلافه وما ينتجه أدباؤه ومفكروه، وما يتلقنه من معرفـــة عن الشعوب الأخرى، ولذلك فإنه من الممكن القول بأن لكل شعب ثقافتـــه الخاصة ، بل إن لكل طائفة متجانسة من طوائفه ثقافتها الخاصة بها. ومـــع ذلك فإن قنوات الاتصال فى العصر الحديث قد أخذت تعمل عملـــها فـــى

---

(١) ابن رشد : تفسير ما بعد الطبيعة ، تحقيق مورس بورتج ، ١٩٦٧م ، ج١ ، المقالـــة الأولى، ص١٠ وأيضاً: ابن رشد: فصل المقال، تحقيق محمد عمـــارة ، دار المعـــارف، ١٩٧٢، ص٢٦ .

توسيع دائرة الثقافة، وبالتالى أخذت الفروق الدقيقة بين الثقافات فى طريـق الاضمحلال."[1] والمثقف الحقيقى كما يقول د. حسن حنفى هو: " كل مـن ترى لديه وعيًا ذاتيًا بالاتجاهات العامة فى حضارته وقادراً على أن يختار بينها ويأخذ موقفا نقديا منها ، المثقف هنا لا يرتبط بالدرجة العلمية ؛ فقـد يكون أميًا بلا شهادات ولكنه مبدع."[2]إذن فنحن فى حاجة إلـى المثقـف الواعى الذى يأخذ من التراث ومن الآخر ما هو أفضل وما يتناسب مع قيمـه ومبادئه وبيئته .

٣- عدم التخلي عن الهوية الدينية والأخلاقية والثقافية الأصلية. ومن هنا وجب وجوبًا ضروريًا علي من يريد اللحاق بأنظمة العولمـة الثقافيـة التمسك بعقيدته وقيمه الدينية ولغته الأصلية، وهويته ، ثم بعد ذلك يتقبـل كل ما تنتجه أنظمة العولمة مركزًا علي الاستفادة من التكنولوجيـا ومـن أنظمة العولمة وما لا يتعارض مع هذه القيم ، ولنا في اليابان قدوة حسـنة في ذلك فقد أطلقوا شعار " التكنولوجيا الغربية والروح اليابانية " وكان هذا الشعب الواعي حذرا جداً منذ بداية نهضته الحديثة في نقله عن الغرب فلـم يفرط إطلاقا في قيمه وعاداته وتقاليده ولغته، بل إنه في كثير من الحـالات وقف معاديا للرجل الغربي واعتبره شيطانًا مع الاستفادة من علومه، كمـا أن هذا الشعب حتى في أحلك الظروف التي مرت به وهي ظروف الهزيمة الساحقة أمام الولايات المتحدة الأمريكية رفض أى تعديل يدخل علي لغتـه

---

(١) د. حامد طاهر: مستقبل الحوار بين العرب وأوروبا ضمن مؤتمر كلية دار العلـوم الدولى الخامس للفلسفة الإسلامية ، جامعة القاهرة ، مايو ٢٠٠٠ ، ص ٤٦ .

(٢) د. حسن حنفى : هموم الفكر والوطن، دار قباء، ص١٢٩.

وعقيدته، وكان الجنرال " ماك أثر " قائد قوات الحلفاء الغربيين قد طلـــب ذلك ضمن مجموعة أخرى من الإصلاحات التربوية بغية انتزاع الـــروح العسكرية من أبناء اليابان ، ولو أن اليابانيين وافقوا علـــي تعديـــل لغتـــهم وعقيدتهم لما أبدع منهم أحد هذا الإبداع المعجز الذى يشهده العالم كله الآن.(١)

ولهذا يشير أنور الجندي إلي أن أى ثقافة أو قراءة أو اطــــلاع دون هوية ومعرفة للهدف لا قيمة لها ، بل إنها سوف تكون مصدرا من مصادر الشقاء، لأنها سوف تدفع بصاحبها ليجري مع كل ريح ، وسوف يعجز عن تحديد موقفه من أهواء المذاهب والتيارات المختلفة ، وزخارف التعـــابير كما حدث بالفعل في عالمنا الثالث، ولا خلاص من هذا إلا بتأكيد هويتنا.(٢)

٤- ***الجمع بين الثقافتين***: من أهم وسائل مقاومة مخـــاطر العولمـــة الثقافية أن الإنسان لا يقتصر على ثقافة واحدة بل عليه الجمع بين الثقافتين ثقافته الأصلية وثقافة الغرب ، بحيث يكون هذا الجمع قائمـــا علـــى مبـــدأ الجمع بين الحسنيين " كما أشار إلى ذلك د. زكـــــى محمـــود الـــذى رأى ضرورة الأخذ من ثقافة الآخر ورفض مبدأ استبعادها أو رفضها مطلقـا أو الفصل بينها ورأى أن الحل هو فى الجمع بين أفضل ما فى الثقافيين، وهذا من الممكن حدوثه فى شخصية المفكر العربى ، وقد سبق الجمع بينها وبين الثقافة اليونانية والرومانية والجمع هنا يقصد به: إعادة التعبير عن ثقافـــة

---

(١) إدوارد أبو شايبة : التربية في اليابان المعاصرة، ترجمة محمد عبد العليـــم موســـى ، مكتب التربية لدول الخليج العربى – الرياض ، ١٩٨٥ ، ص٢٥ .

(٢) أنور الجندى : فى مواجهة الفراغ الفكرى والنفسىّ فى الشــــباب ، دار الاعتصـــام ، ١٩٨٢ ، ط٢ ، ص٥ .

الآخر بثقافات الأنا.[1] والتقابل والجمع بين ما هو أفضل فى كل ثقافة أى ثقافة العولمة وثقافة العرب، أى بين ثقافة العلم وثقافة الدين بين الغرب والشرق ضرورى، لأن هذه الثقافة الموجودة حاليا فى كل جانب افتراض لا وجود له، نظرا لأنه لا توجد ثقافة جوهرها العلم وأخرى جوهرها الدين ، بل كل ثقافة متعددة الجوانب تشتمل على كل الجوانب الدينية والعلمية والعقلية والروحية، أى تجمع بين ما هو مادى وما هو روحانى ، فإذا حدث ذلك ستكون لدينا القيم الدينية المعتدلة والتى أقرها الدين لا القيم الدينية المتزمتة أو المغالى فيها أو انعدامها وإحلال قيم المادة التى أفرزتها نظم العولمة. .

٥- تقوية جهاز المناعة المعرفى والثقافى والدينى والأخلاقى ضد أضرار معرفة العولمة ، وهذا من أفضل أساليب المواجهة، لأنه لو لم تتمكن دول العالم الثالث من تقوية جهاز المناعة ضد مخاطر هذا العدو فلا بد أن يوقف المرض عند حد معين من الانتشار فى أجسامنا وعقولنا، ويأتى ذلك بالتفوق المعرفى على ثقافة الغرب بحيث نبتكر أساليب معرفية وثقافية وعلمية أفضل من ثقافتهم ومعرفتهم ، وهذا فن الإتقان لأن معرفتهم وثقافتهم التى وصلوا إليها الآن ليست هى النهاية المعرفية والثقافية والعلمية فى الكون ، بل هناك دائما جديد ، ومن أساليب تقوية جهاز المناعة وضع رؤية مستقبلية كما يقول د. عاطف العراقى تقوم هذه الرؤية على الانفتاح على كل الأفكار والتيارات والثقافات كما دعا إليها ابن رشد،

---

(١) د. حسن حنفي: زكي نجيب محمود. المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٨، ص٢٥٥ .

ولا يجب أن نظل فى حالة تقوقع وسكون بحجة التمسك بالتراث تارة أو بحجة البعد عن مخاطر ثقافة العولمة الملوثة تارة أخرى ، ولا بد أيضا من ثورة فكرية تخلق إنسانا عربيا جديداً متفوقا ثقافيا وفكريا وعلميا وسياسيا وعسكريا واقتصاديا، و إلا سيضعف جهاز المناعة وبضعفه ستتغلب علينا إملاءات العولمة بسهولة كما يتغلب المرض على الإنسان الذى يكون لديه جهاز المناعة ضعيفا [1] كما يجب أن نتعامل مع جميع أنظمة العولمة من منطلق القوة لا الضعف، لأن صاحب المعدة القوية لا يخشى من تناول أى نوع من أنواع الأطعمة بل يمكنه هضم كل ما يتناوله مع فرز السموم وإخراجها إلى خارج الجسم وامتصاص ما يفيده ويقويه وينميه ويمنحه الصحة والعافية، وهذا لا يحدث أيضا إلا بالتحرر من التراث الغربى الوافد ،ومن التراث القديم الموروث ، ويخرج من دائرة الحفظ والتأويل والتفسير إلى دائرة الخلق والإبداع من خلال البحث فى الواقع المعاش بنظرة نقدية مدعمة بكل فكر جديد – ويمكننا ذلك بسهولة، فنحن نملك عقولا من أفضل العقول وأموالا مهدرة يجب حسن استخدامها، ونملك من القيم الدينية والعلوم ما يمكننا من حجز المكان الملائم فى قطار العولمة ،بل والمساهمة فى تطوير هذا القطار إلى الأفضل .

٦- الاهتمام بالإعلام العربى والإسلامى بحيث يكون قدوة يحتذى بها ويشمل الإعلام هنا المراكز الإسلامية بالدول الأوروبية وهى مجال خصب للدعوة إلى الإسلام الصحيح إذا ما استخدم الاستخدام الأمثل. هذا

---

(١) د. عاطف العراقى ، الفيلسوف ابن رشد ومستقبل الثقافة العربية ، ص٢١٨ .

بالإضافة إلى الإعلام المقروء والمشاهد كما هـــو الحـــال فـــى القنـــوات الفضائية يجب أن تقوم بدورها المناط إليها فى نقل الحقائق ، والبعد عـــن الإعلام المأجور، ويجب أيضا أن تطور البرامج الدينية بحيث تتشابه مـــع تطورات العصر[1] وتواكب التقنيات العالمية وتستفيد من إيجابيات العولمة، وتتنبه إلى سلبياتها.

---

(١) انظر د. عبد اللطيف العبد: دور الدعوة الإسلامية في عصر العولمة، ضمن المؤتمر الدولـــي الرابع للفلسفة الإسلامية . بكلية دار العلوم جامعة القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص٣٦٦ .

الخاتمـــة

مما لاشك فيه أن أى دراسة علمية تقتضى تحديـــد المشـــكلة التـــى تدور حولها الدراسة ، وقد حددنا مشـــكلة هـــذه الدراســـة فـــى بدايتـــها وهى : مشكلة العلاقة بين القيـــم الدينيـــة وثقافـــة العولمـــة وأثـــر كـــل منهما علة الآخر ، وموقـــف المفكريـــن والفلاســـفة والعلمـــاء ورجـــال الدين والسياسة والاقتصاد والاجتمـــاع منـــها وقـــد تبيـــن مـــن خـــلال المناقشة والتحليل لهذه القضية الكثـــير مـــن وجـــهات النظـــر المختلفـــة وكذا النتائج المترتبة على هذه القضية وخرجنا منـــها بالنتـــائج الآتيـــة :

أولاً: أن المشكلة التى عرضت لها الدراسة تعد من أهم المشاكل التى تواجه الإنسان المعاصر الغنى منه والفقير والمثقف والجاهل والعالم وغـير العالم والمتحضر والمتخلف ، القوى والضعيف وتتمثل المشكلة هنا فـــى سيطرة أنظمة العولمة بثقافتها وسياستها واقتصادها وكل جوانبها على قيـــم ومبادئ الإنسان المعاصر لتجعله دمية فى يد القوى الكبرى .

ثانياً : أن أنظمة العولمة وثقافتها كما أن لها من سلبيات ومخـــاطر فلها أيضاً ايجابيات من تقدم تكنولوجي وتقنى يخدم الغنى والفقير على حـد السواء ولكن المشكلة التى تواجهنا هى كيف نستفيد من الإيجابيـــات فيمـــا لا يخل بعقيدتنا وقيمنا الدينية لأنه كما عرضنا أن كل خدمة تقدمها أنظمـــة العولمة لا بد ولها مقابل والمقابل يمكن أن يكـــون أى شـــئ عـــدا قيمنـــا

وعقيدتنا الدينية ، ولهذا توصلت الدراسة إلى أنه يمكـــن أن يســـتفيد مـــن ايجابيات العولمة من خلال توظيفها فيما يخدم القيم الدينية وتوظيف القيـــم فيما يخدم الثقافة المستحدثة التى تفرزها ثقافة العولمة ومن هنـــا نســـتطيع التغلب على السلبيات التى يمكنها القضاء كلية على أى قيم وعقيدة دينية .

ثالثاً: كما نخرج من هذه الدراسة بأهمية القيم الدينيـــة فيمـــا تقـــوم به من تعادل بين تطرف العقـــل البشـــرى المنظـــم والواضـــع لأنظمـــة العولمة وبين حالة الركـــود الـــذى تعيشـــه بعـــض الشـــعوب فـــى دول العالم الثالث، فالقيم الدينية تضـــع لنـــا المقيـــاس والمعـــايير ومحـــددات وضوابط السلوك البشرى الذى يعصمنـــا مـــن الوقـــوع فـــى التطـــرف الأخلاقى كما أن من وظائفها وضـــع أســـس ومبـــادئ العـــدل والحريـــة والمساواة والتسامح والتقوى وكل ما مـــن شـــأنه أن يـــؤدى إلـــى خلـــق الإنسان المعاصر ومن ثم إقامة حضـــارة متكاملـــة بجانبيـــها الروحـــانى والمادى ، كما أن من أهمية القيم تخفيـــف حـــدة الماديـــة التـــى ســـادت كـــل مـــا هـــو موجـــود ســـواء فـــي مجـــال الأخـــلاق أم السياســـة أم العلم....إلـــخ.

رابعاً: إن أنظمة العولمـــة الســـائدة تعـــد خطـــراً علـــى الإنســـان المعاصر ســـواء منتجـــى أنظمتـــها أو غـــيرهم فقـــد انتشـــرت بســـبب مبادئها المادية والنفعية واللاأخلاقية : البطالة، والفقر لفئـــة كبـــيرة مـــن سكان العالم الغربى والعربى ، وانتشرت الرذيلـــة بـــدلا مـــن الفضيلـــة وساد الظلم بدلاً من العدل لكثـــير مـــن شـــعوب العـــالم الثـــالث، كمـــا أوضحت الدراســـة .

خامساً: كشفت هذه الدراسة عن المادية المغرقة والمتطرفة التى يمارسها قادة العولمة لتحقيق المنفعة الذاتية لهم دون الوضع فى الاعتبار مصلحة الشعوب الفقيرة، وجاءت سيطرة المادية فى غياب الروحية التى من أهميتها تخفيف حدة المادية أو عمل توازن بين المادة والروح وخلق حضارة إنسانية قائمة على كل ما هو مادى وروحانى بدلاً من الحضارة المزعومة التى تقوم على المادة وحدها .

سادساً: توصى الدراسة الرافضين لأنظمة العولمة بكل جوانبها والمؤيدين لها دون تحفظ ، بأنه يجب أن يتخلى كل فريق عن بعض مبادئها بمعنى أنه يجب ألا ترفض العولمة كلياً ولا تقبل كلياً بل يجب أن تقبل على أسس ومبادئ القيم الدينية التي من شأنها إقامة التوازن بين تطرف الفريقين وتضع قواعد للاستفادة من أنظمة العولمة .

سابعاً: وتوصى الدراسة بأنه يجب أن يتسلح الإنسان المسلم بسلاح الإيمان الصحيح والعقيدة السمحة والقيم الدينية الصحيحة لكى ينشأ لدينا جيل صاحب هوية وشخصية لا تؤثر فيها التيارات المنحرفة فإذا وجد هذا الإنسان أمكننا الدخول في معركة العولمة والخوض فيها والاستفادة منها دون خوف أو تحفظ لأننا عند ذلك نستطيع أن نميز بين الغث والثمين وبين الخير والشر وبين المفيد والضار.

ثامناً: كما يجب علينا دراسة أسس وأصول ومبادئ واتجاهات وأساليب أنظمة العولمة المختلفة دراسة متأنية متعمقة حتى إذا

ما أردنا الدخول فـــي اتفاقيــات دوليــة ثقافيــة كــانت أم اقتصاديـــة أو سياسية نكون على علم بكـــل مخاطرهـــا وفوائدهـــا وتكـــون الاســتفادة مجدية .

وأخيراً أقول كلمة حق أن العولمة بوجــه عــام والعولمـــة الثقافيـــة بوجه خاص نظراً لأنها آتية لا ريب فيها فقـــد دخلـــت بيوتنـــا وعقولنـــا وقلوبنا وكل أجسامنا . ولا مفـــر مـــن إحاطـــة نارهـــا بأجســامنا ومـــا يمكن أن نفعله الآن هو التخفيف من شدة هذه النـــار حتـــى تكـــون بـــرداً وسلاماً علينا . يجـــب أن نتســـلح بســـلاح القيـــم الدينيـــة مـــن إيمـــان وتقوى ، وتسامح ، حتى يمكننا تجنب شدة حرارتـــها علـــي الأقـــل. بـــل بهذا السلاح من الممكن الاستفادة من هذه النـــار المشـــتعلة فـــي الإبـــداع والإنتاج والتصنيع ..إلـــخ .

هذا وبالله التوفيق،

محتويات الكتاب

طبع
بمطبعة وزارة الأوقاف
بطرة البلد